بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

ثقافة التقريب

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

العدد ٢٢ ـ ربيع الاول ١٤٣٠هجرية قمرية

اسفند١٣٨٧هجرية شمسية / آذار (مارس) ٢٠٠٩م

- الآراء الواردة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجمع العالمي للتقريب
- تسلسل الموضوعات خاضع لاعتبارات فنية

المراسلات:

فاكس: ٨٨٣٢١٦١٦ +٩٨٢١هاتف: +٩٨٢١ ٨٨٣٢١٤١١

العنوان البريدي للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية:

الجمهورية الإسلامية في إيران – طهران – ص. ب: ٦٩٩٥-١٥٨٧٥

العنوان الالكتروني:info@taghrib.ir

الموقــع: www.taghrib.ir

ثقافة التقريب

ملحق

رسالة التقريب

مجلة تثقيفية عامة تهتمّ بعرض الأفكار التي ترتبط بوحدة الأمة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، مع التأكيد على ضرورة وضع المسلمين أمام مسؤولياتهم الكبرى في استعادة العزّة والكرامة واستئناف البناء الحضاري

الإشراف العام

الشيخ محمد علي التسخيري

هيئة التحرير

مجموعة من الكتّاب الرساليين المهتمين بمستقبل
الأمة الإسلامية وبوحدة الدائرة الحضارية للعالم الإسلامي

إعداد المجلة:

مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية

www.iranarab.com

منهجنا في نشر المقالات

١ـ أن يكون المقال ما قلّ في الصفحات ودلّ على فكرة مفيدة في حقل التقريب وصحوة الأمة ووحدتها.

٢ـ للمجلة الحقّ في التلخيص وتعديل العبارات، دون أي مساس في المحتوى، كي يكون المقال منسجمًا مع الإطار العام للمجلة.

٣ـ يحقّ للكاتب أن يطلب عدم ذكر اسمه، وهيئة التحرير سوف تنشر مقالاتها دون ذكر كاتبيها تجنبًا لتكرار الأسماء.

٤ ـ ننشر أيضًا مختارات وعصارات مما كُتب في تراث التقريب.

٥ ـ المقالات والتعليقات التي تعارض هدف المجلّة سوف ننشرها أيضًا إذا كانت ملتزمة بأدب الاختلاف، مع الاحتفاظ بحقّنا في التعليق.

المحتوى

العدد ٢٢

اين القرار الإسلامي؟ ٤

رسائل القرآن ٧

وقفات عند فكر الإمام الخامنئي ١٥

العاطفة الإنسانية في سيرة الرسول(ص) ٢٣

الفكر مصادره وزلاّته ٣٤

الذنوب التي تنقص العمر ٤٠

العمل بالحديث وشروطه عند الامامية ٥٣

السيرة النبوية في الإطار الحضاري ٦٢

الشخصية المحمدية ٧١

معالم عملية في السيرة النبوية ٨٢

من وثائق القيادة الإسلامية ٩٨

من أخبار وكالة الأنباء الدولية للتقريب ١١٥

اين القرار الإسلامي؟

بداية نذكر أننا لا نريد أن نعالج مسألة سياسية بالمعنى المتداول اليوم لكلمة السياسة، أي لا نريد أن نتدخّل في شؤون الحكام ومناصبهم وقدرتهم وهيمنتهم، بل نريد أن نتناول مسألة ترتبط بحياة هذه الأمة، وهذا هو المعنى الواقعي لكلمة السياسة.

هذه الأمة لا يمكن أن تتوحّد ولا يمكن أن يحقّق التقريب أهدافه إلاّ في ظل أمة حيّة، أو أن تتوجّه بجدّ نحو استعادة كل مقومات الحياة.

وأهم مقومات «الحياة» أن تمسك بزمام قرارها، وأن تكون هي صاحبة الإرادة فيما تتخذه من مواقف، لا أن تملى عليها المواقف وتكون ريشة في مهبّ الريح.

ثمة إجماع بين قوى الهيمنة العالمية على نزع الارادة من العالم الإسلامي، ليكون خاضعًا منصاعًا لا حول له ولا قوّة، وكلّ من يخالف ذلك فهو «خارج» عن الاجماع الدولي!! وهو من الدول المارقة!!!

هذه أخطر ظاهرة تواجه أمتنا، وإفرازاتها لا تقتصر على جانب دون جانب، إذ نجد آثارها حتى في المواقف الطائفية والقومية بين المسلمين.

حين أرادت الادارة الامريكية أن تشعل نيران الفتنة الطائفية

بين المسلمين بعد انتصار حزب الله بالذات سرت في العالم الإسلامي موجة تحت عنوان: «خطر المدّ الشيعي»!!

وحين أرادت إسرائيل أن تنتقم من الدعم الإيراني للقضية الفلسطينية آثارت قضية الملف النووي وجرّت وراءها كل حلفائها التقليديين.

وقبل ذلك حين انتصرت إيران في ثورتها الإسلامية على قاعدة المكر الاستكباري وكسرت الطوق المضروب بينها وبين العرب في زمن الشاه، وعادت إلى دائرة الحضارة الإسلامية وتبنّت القضايا العربية باعتبارها قضيتها، أصبح الايرانيون يسمون فجأة «الفرس المجوس» ثم «الصفويين» ثم ارتفعت نغمة التدخل الايراني والامتداد الإيراني!!

حتى «الغيرة» العربية أصبحت، على الصعيد السياسي لا الشعبي، في يد القرار الامريكي، تغيب في وقت يجب فيه أن تثور، كما حدث في غزة مثلاً، وتثور في مواطن يراد منها خلق اصطفاف ضد الدولة الإسلامية في إيران!!

هذا كله يدلّ على أن القرار الأمريكي الصهيوني أخذ محلّ القرار الإسلامي.

من المؤكد أن تفاقم هذا القرار الاجنبي ليس لمصلحة الامة الإسلامية بل ولا حتى لمصلحة الحكام أنفسهم. إذ تماديه سوف يؤدي إلى طغيان ضاغط على الشعوب والحكام معًا.

الجمهورية الإسلامية الإيرانية اليوم تقف مدافعة عن تحرير القرار الإسلامي من الهيمنة الاجنبية، ورغم أن ذلك يكلفها كثيرًا، لكنها تجد أن «من خطب الحسناء لم يغلها المهر». فالعائد عظيم.. إنه العزّة والكرامة وعودة «الحياة» إلى الأمة.

وعسى أن يرتفع الوعي في العالم الإسلامي إلى مستوى اتخاذ مواقف بعيدة عن الاملاءات والضغوط عندئذ سيتحقق السلام والوئام وتتحقق التنمية ويعم الخير وتنتشر البركة في ربوع دائرتنا الحضارية وما ذلك على الله ببعيد.

نحن على أعتاب أيام المولد النبوي الشريف وأسبوع الوحدة الإسلامية ولذلك خصصنا معظم مقالات هذا العدد لهذه المناسبة الكريمة راجين أن تكون منطلقًا للإحياء، فالالتزام بالسنة النبوية الشريفة بمعناها الحضاري تضخ في جسد الأمة عزة وكرامة وتوحيدًا للصفوف وإرادة في تخاذ القرارات الحاسمة.

صلى الله عليه وعلى آله كما صلى على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنه تعالى سميع مجيب.

رسائل القرآن

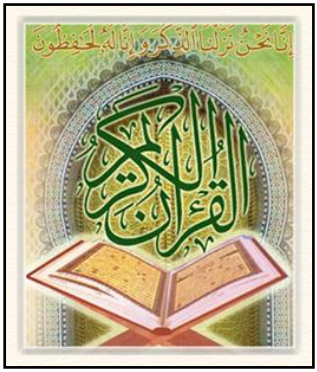

بسم الله الرحمن الرحيم

محسن قراءتي*

٨١-﴿ بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

الرسائل:

- خلافًا لما كان يتخيّله بنوإسرائيل، فإن العقاب الإلهي لا يستثني أحدًا من مستحقّيه.. من الذين أحاطت بهم خطيئاتهم لكثرتها، وطوّقتهم فلا يستطيعون الخروج منها.
- لابدّ من اتخاذ موقف حاسم وقاطع من الأوهام والخرافات: ﴿بلى من... ﴾
- الجزاء يقوم على أساس العدل، وبناء على الأعمال، لا على

---

* ـ داعية إسلامي معروف.

الآمال: ﴿ بلى من كسب.. ﴾

● الجزاء يتوجّه إلى الأفراد على ما ارتكبوه عن عمد ووعي واختيار، لا عن جهل وجبر: ﴿ كسب.. ﴾

● يتصوّر المذنب بارتكابه السيئات أنه يكسب منفعة: ﴿كسب سيئة..﴾

● الذنوب لها تبعات، ومن هذه التبعات والأعراض أنها قد تطوّق الإنسان وتُغرقه فيها: ﴿ أحاطت به خطيئته﴾

● طبيعة الارتكاس في الذنوب أنها تؤدي إلى الارتكاس في النار: ﴿كسب.. أحاطت.. هم فيها خالدون ﴾

٨٢-﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

الرسائل:

● لابد أن يقترن التهديد بالتبشير الآية السابقة ذكرت جزاء المخطئين، وهذه الآية تبشّر بجزاء الصالحين: ﴿ أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾

● الإيمان لا ينفصل عن العمل: ﴿ آمنوا وعملوا الصالحات﴾

● الجنّة جزاء الإيمان والعمل، لا الخيال والتمنّي : ﴿آمنوا وعملوا الصالحات... أولئك أصحاب الجنّة﴾

٨٣ - ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾

الرسائل:

- الإحسان أوسع تعبير عن العمل الصالح، ويشمل العطاء المادي والعطاء المعنوي بشتّى وجوهه. فالإحسان بالوالدين وذي القربى واليتامى والمساكين يتضمن الإحسان المالي وحفظ الحقوق والتعليم والتربية..
- أصول جميع الأديان واحدة، فكل هذه المواثيق موجودة في الإسلام.
- الله سبحانه يأخذ الميثاق من بني البشر عن طريق العقل والفطرة والوحي: ﴿وإذ أخذنا ميثاق..﴾
- التوحيد يأتي في مقدمة هذه المواثيق الإلهية، ثم يأتي بعدها أنواع الإحسان: ﴿لا تعبدون إلاّ الله وبالوالدين إحسانًا.. ﴾
- إلى جانب التوحيد تذكر الآية ميثاق الإحسان بالوالدين.
- لعلّ الباء في قوله: ﴿وبالوالدين﴾ تعني المباشرة، أي يجب أن يمارس الإنسان هذا الإحسان بنفسه مباشرة.

● الإحسان يتجه إلى الوالدين على حدّ سواء دون تمييز بين الأم والأب: ﴿وبالوالدين﴾

● الأولوية في الإحسان للوالدين، ثم ذي القربى، ثم اليتامى، ثم المساكين.

● الأولويات يجب أن تراعي بين الأقارب أيضًا: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ (الانفال/ ٧٥).

● الإحسان يجب أن يقترن بالأدب ودونما منّة، ولذلك اقترن الأمر بالإحسان بعبارة: ﴿وقولوا للناسِ حُسنًا﴾

● إذا كان الإحسان إلى كل الناس متعذّرًا، فالقول الحسن لهم ممكن: ﴿وقولوا للناسِ حُسنًا﴾

● الأمر بالسلوك الحسن لا يختص بالتعامل مع المسلمين بل يشمل الأمر التعاملَ مع جميع الناس: ﴿ وقولوا للناس حُسنًا﴾

● إضافة إلى أداء الزكاة، يجب الإحسان إلى من ذكرتهم الآية: ﴿وبالوالدين إحسانًا.... وآتوا الزكاة﴾

● الصلاة والارتباط بالله لا ينفصلان عن الزكاة والارتباط بالفقراء: ﴿ أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾

● الصلاة والزكاة موجودتان في الأديان الأخرى أيضًا، فالخطاب في الآية لبني إسرائيل.

● الأمر بتوحيد الله سبحانه، وإلى جانبه الأمر بالإحسان، والقول الحسن، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، مظهر من مظاهر شمولية الدين الإلهي.

٨٤-﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾

الرسائل:

● لعلّ المراد من ميثاق بني إسرائيل بشأن منع سفك الدماء هو قوله سبحانه: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة/٣٢).

● حقّ الحياة أول حقوق الإنسان، وقتل النفس من الذنوب الكبيرة. قال سبحانه: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء/ ٩٣). وفي الحديث أن القاتل يتحمل وزر كل ذنوب المقتول، وأنه لو اشترك أهل السماوات والأرض في قتل شخص فهم جميعًا في النار.

● أساليب الطواغيت والمتغطرسين هي التوسع في المساكن والديار على حساب غصب حقوق غيرهم، بينما أكد الدين الإلهي على حفظ حقّ الدار، حتى أن الدائن لا يستطيع أن يجبر المدين على بيع داره.

● الخطاب في الآية إلى اليهود المعاصرين للبعثة النبوية بشأن ما فعله أسلافهم، مما يدلّ على أن الراضي بعمل قوم يشترك معهم.

● العهد والميثاق ضروريان للتأكيد على أهمية الأمور: ﴿أخذنا ميثاقكم﴾

● الدين الإلهي يؤكد على أمن النفس والوطن: ﴿لا تسفكون... لا تخرجون﴾

● الارتباط بالدار والوطن حقّ فطري وطبيعي، وسلب هذا الحقّ ظلم صريح: ﴿ولا تُخرجون أنفسكم من دياركم﴾

● المجتمع بمثابة جسد واحد، وكل الأفراد أعضاء فيه، لذا جاء الخطاب لأعضاء المجتمع قاطبة: ﴿دماءكم.. أنفسكم﴾ مع أن القتل والتهجير محدود بأفراد من المجتمع.

٨٥-﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

الرسائل:

● الآية الكريمة تبين أولاً أن اليهود نقضوا الميثاق، فقتلوا فريقًا وهجّروا فريقًا من ديارهم. والتعبير: ﴿تقتلون أنفسكم

وتخرجون فريقًا منكم﴾ إشارة إلى وحدة الكيان الاجتماعي، إذ كل الأفراد أعضاء في جسد المجتمع.

● هؤلاء اليهود تعاونوا على الإثم والعدوان في القتل والتهجير: ﴿تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان﴾

● هؤلاء لا يرضون بأسر أفراد قومهم، لذلك يدفعون الفدية لتحريرهم، بينما يرتكبون بحقّهم جريمة الإخراج والتهجير: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ وهذه من ظواهر الازدواجية في هؤلاء القوم.

● عدم الالتزام ببعض أحكام الدين دلالة على عدم الإيمان بالدين كلّه، ولذلك تستنكر الآية على فعل هؤلاء اليهود الذين يعتدون على الناس بإخراجهم من ديارهم، ثم يلتزمون بدفع الفدية حين أسرهم: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾ ؟!

● الانتقاء الذوقي لأحكام الرسالة يدلّ على عبادة هوى النفس لا عبادة الله سبحانه، ولذلك كان جزاء هذه الانتقائية خزيًا في الحياة الدنيا وعذابًا في الآخرة، والله عليم بدوافع أعمالهم: ﴿فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ .

٨٦-﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ ﴾

الرسائل:

● هذه الآية تبين خلفية نقض العهود وقتل النفوس، والإخراج من الديار، وتذكر أنه الهبوط إلى مستوى الأهداف الدنيوية التافهة. فهؤلاء باعوا آخرتهم بدنياهم، فكانوا مستحقين للعذاب الدائم، ولحرمانهم من السند الإلهي.

● عبارة ﴿ اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة﴾ تشير إلى انتخابهم، بمحض إرادتهم، الاهدافَ الهابطة وفضّلوها على السموّ والارتفاع، وهذا يعني أن الانسان مختار في انتخاب الطريق.

● عبارة ﴿فلا يخفّف عنهم العذاب﴾ قد تكون إشارة إلى ما كان يتوهمه اليهود: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ والآية ترفض هذا التمييز وتنصّ على عدم تخفيف العذاب عنهم.

في بدايات أعوام احتلال فلسطين نهض علماء مجاهدون مثل «الشيخ عز الدين القسّام» و«الحاج أمين الحسيني» فرفعوا صوتهم يستنصرون المسلمين لانقاذ الوطن السليب، وأصدر المرجع الديني الكبير يومئذ «الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء» حكم الجهاد ضد الصهاينة. لكنّ الطابع الاسلامي للقضيّة خفّ باستمرار لتنحصر مع الأسف في الاطار القومي.

الامام السيد علي الخامنئي

وقفات عند فكر الإمام الخامنئي

حديث السيد القائد في جمع من المسؤولين في إحدى مناسبات مولد الرسول الأعظم(ص)

●ولادة الرسول(ص) كانت مرحلة حاسمة في تاريخ البشرية ● الحوادث الرمزية التي رافقت الولادة المباركة تعني نهاية إذلال الإنسان على يد الجبابرة ●البشر بهذه الحادثة يجب أن يتحرك في اتجاه الحرية المعنوية والاجتماعية الحقيقية والعقلانية. هذا عمل قد بدأ، واستمراره بيدنا نحن البشر. وهذه سنّة أخرى في عالم الخليقة ●في السنن الالهية الإنسان هو صاحب القرار ●إن كل ما يحدث اليوم في فلسطين، وكل مصير ينتظر هذه القضية، فإنها تؤثر مباشرة على مصير البلدان الإسلامية سواء منها القريبة أو البعيدة.

بسم الله الرحمن الرحيم

أبارك مولد النبي الأكرم محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله لكل الأمة الإسلامية الكبرى، ولكل أحرار العالم،

وللشعب الإيراني المؤمن الشريف، ولكم أيها الحضّار المحترمين الأعزاء في هذا المجلس خاصة الضيوف الذين شرّفونا من البلدان الأخرى.

هذا اليوم الكبير الذي هو يوم ميلاد النبي الأكرم وميلاد الإمام جعفر الصادق عليه الصلاة والسلام إنّما يشكل بداية مرحلة عظيمة من تاريخ البشرية.

في مثل هذا اليوم منّ الله سبحانه وتعالى على ساحة الوجود بأكبر ذخيرة إلهية متمثلة بوجود النبي الكريم.

كانت هذه الولادة بداية مرحلة حاسمة في مصير البشرية. في آيات ولادته المباركة قيل إن شرفات قصر كسرى قد انهدمت، ونيران «آذرگشسب» بعد قرون من الاشتعال قد خمدت، وبحيرة ساوة التي كان ينظر إليها بعض الناس بعين التقديس قد جفّت، والأصنام التي كانت معلّقة حول الكعبة قد سقطت. وهذه العلامات لها دلالات رمزية، تدلّ على اتجاه إرادة الله وسننه في إلباس خلعة الوجود لهذا الموجود العظيم والشخصية الفريدة الكبرى.

هذه الحوادث الرمزية تعني أن هذه الولادة المباركة يجب أن تكون نهاية إذلال الإنسان سواء على يد حاكمية الجبابرة والحكام المستبدين، كالذي كان قائمًا آنئذ في إيران وروما، أو بسبب عبادة غير الله.

الإنسان يجب أن يتحرر على يد هذا المولود المبارك.. يتحرر من الحكّام الظالمين المتحكّمين في رقاب المظلومين على مرّ التاريخ، ومن أغلال الخرافات والمعتقدات المنحرفة المذلّة التي تدفع بالإنسان إلى الخضوع والذلة والطاعة لموجودات هابطة أو لإنسان آخر.

إلى هذا تشير الآية الكريمة: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (الفتح/١٨).. وعبارة ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ لم تتقيد بزمان، فهي تشير إلى الجهة. **البشر بهذه الحادثة يجب أن يتحرك في اتجاه الحرية المعنوية والاجتماعية الحقيقية والعقلانية. هذا عمل قد بدأ، واستمراره بيدنا نحن البشر. وهذه سنّة أخرى في عالم الخليقة.**

لو أن البشر صعّدوا من سعيهم وهمّتهم فسيصلون إلى الأهداف الإلهية المرسومة في المنهج الرباني أسرع. أما إذا لم يفعلوا ذلك ووهنوا على هذا الطريق فإنهم سوف يبقون فيه سنوات طويلة كتيه بني إسرائيل: ﴿ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ﴾ (المائدة/٢٦).

بنو إسرائيل هم ألقوا بأنفسهم في التيه والضلال في الأرض. كان بإمكانهم أن يحولوا دون سقوطهم في تلك المحنة والمرارة، وكان بإمكانهم تقصير المدّة، كما كان بإمكانهم بسبب

ضعفهم أن يطيلوا المدّة. مصيرنا أيضا كذلك. المسلمون أيضًا قد تبيّن لهم اتجاه خلق البشر، وفلسفة إعزام الرسل وإنزال الكتب السماوية. البشر أنفسهم هم القادرون على إطالة هذا الطريق او تقصيره. يستطيعون أن يصلوا هدفهم أسرع أو أبطأ.

في السنن الإلهية إرادة الإنسان هي صاحبة القرار. حين يدعو الإسلام إلى الجهاد: ﴿ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ (البقرة/٢١٨) ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ (الحج/ ٧٨) فإنما يدعونا إلى بذل كل ما وسعنا من جهد للوصول أسرع إلى الهدف الإلهي. فالهدف الإلهي ثابت وقطعي. إن لم نعمل على تحقيقه فسيأتي آخرون ليعملوا به: ﴿ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (المائدة/ ٥٤).

لقد جعل الله سبحانه هذا الطريق وهذا الهدف وهذا المصير من الأمور الحتمية القطعيّة. ولكنّ غير القطعي هو عبارة عن زمن الوصول، وهو الناس الذين سيحققون هذا الهدف الكبير. هذا يرتبط بإرادتي وإرادتك.

الشعب الإيراني بقيادة الإمام الكبير استطاعوا بهمّتهم أن يقطعوا خطوة على الطريق وأن يرفعوا هنا راية الإسلام. راية الشريعة المحمدية صلى الله عليه وآله مرفوعة اليوم في هذا البلد. كان من الممكن أن لا يحدث ما حدث أو أن يحدث بعد عشر سنوات أو مائة سنة.

غير أن الذي حقّق هذه المهمّة الكبرى في هذه الفترة الزمنية بالذات هو إرادة هذا الشعب وعزمه على التضحية وبذل الجهد. وهذه السنة جارية وسارية في كل مكان.

القضية الفلسطينية تشكل اليوم جرحًا نازفًا عميقًا في جسد المجتمع الإسلامي. الآية التي تُليت (في بداية هذه الجلسة) تقول عن النبي الأعظم: ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة/٢٣) واليوم فإن ما يعاني منه المسلمون من عَنَت وألم، وأبرزه مسألة فلسطين، يعتصر قلب النبي: ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾. ما يعاني منه الشعب الفلسطيني اليوم يملأ روح النبي المقدسة في العوالم العلوية لعالم الخليقة بالهموم. ما هو العلاج؟ السعي والمجاهدة.

مسألة فلسطين هي اليوم مسألة دنيا الإسلام.

نحن المسلمين في البلاد الإسلامية، علمنا أم لم نعلم، فهمنا أم لم نفهم، يرسم مصير فلسطين مصيرنا جميعًا. لو أن شعب فلسطين في هذه المواجهة الشجاعة التي ينهض بها قد حقق النصر فإنه انتصار لكل دنيا الإسلام، ولكن كلما استمرت معاناة هذا الشعب فإن ذلك سيعود بالذلّة على العالم الإسلامي. **المسلمون يجب أن يفهموا تمامًا بأن هذه المسألة هي مسألتهم.**

صحيح أننا جميعًا نتحمّل أمام هذه القضية مسؤولية شرعية أوجبها الإسلام تقضي بدعم الشعب الفلسطيني . لكن كلامي

اليوم يتجاوز إطار المسؤولية الشرعية. أقول: **إن كل ما يحدث اليوم في فلسطين، وكل مصير ينتظر هذه القضية، فإنها تؤثر مباشرة على مصير البلدان الإسلامية سواء منها القريبة أو البعيدة، ولذلك فإن كل ما تقدّمه الشعوب الإسلامية اليوم لفلسطين فإنها تعمل لنفسها ولمصالحها.**

حين عمد الاستعمار البريطاني بدعم من عالم الاستكبار إلى فصل هذا الجزء الدامي من جسد العالم الإسلامي لم يكن الهدف فتح هذا الجزء فحسب، بل كان هدف المستعمرين السيطرة على كل المنطقة التي تشكل قلب العالم الإسلامي. من هنا فإن المسؤولية ملقاة علينا جميعًا.

الشعب الفلسطيني طبعًا قد نهض بواجبه نهوضًا يليق به كشعب شجاع غيور صامد. وينبغي أن نعلم جميعًا بأن هذا الكيان الغاصب الظالم الصهيوني قد مُني حتى الآن بالفشل الذريع في عملياته، ولم يحقّق أيَّ نجاح، وهُزم أمام إرادة الفلسطينيين. إذ كان هدف هذه العمليات إطفاء شعلة انتفاضة الأقصى، وفرض حالة الاستسلام على الفلسطينيين، والقضاء على روح التحرر والغيرة لدى الشعب الفلسطيني. لكن الذي حصل كان على عكس ما أرادوا. فما نراه اليوم لدى الشعب الفلسطيني من عزم وإرادة ووعي يفوق ما كان عليه قبل الانتفاضة. لقد تكشّف أمام الشعب الفلسطيني ما يحمله هذا

الكيان الغاصب وشريكه أمريكا تجاه الشعب الفلسطيني من عمق العداء والخبث والوحشية.

حين يصل الأمر بشعب درجة يرى معها أنْ لا سبيل له إلاّ التضحية الشجاعة بالنفس فلا يستطيع عندئذ أن يقف بوجهه أي شيء، لا قوة الصهاينة المتمثلة بالدبابة والمدفع وأمثالها من الأسلحة الظاهرية، ولا القوة السياسية والاقتصادية التي تساندها المتمثلة بأمريكا.

لقد انتهى عهد استدراج الفلسطينيين لكي يجلسوا حول طاولة المحادثات وليحصلوا على ما يسمى «امتيازات».

لقد اتضح عدم جدوى الجلوس خلف طاولة المحادثات والتفاوض مع العدو. لقد فهم الشعب الفلسطيني ذلك، ورسم طريقه، لقد دخل الساحة رجال فلسطين ونساؤها، والأمهات الفلسطينيات والشباب الفلسطيني والأطفال الفلسطينيون.

المهم في الأمر أن ينهض العالم الإسلامي بمسؤوليته.. العالم الإسلامي بحكوماته وشعوبه.

قد تكون للحكومات محاذير، لكن الشعوب ليس لها هذه المحاذير..العلماء والمثقفون والسياسيون وأصحاب التأثير على الرأي العام ليس لهم هذه المحاذير. عليهم أن يُقدموا، وإقدامهم هذا سيساعد حكوماتهم.

لو ان الشعوب المسلمة، وخاصة الشعوب العربية، كشفت عن

عزمها وإرادتها لدعم الشعب الفلسطيني بشكل واضح مستمر فإن ذلك سيعود بالنفع على حكوماتهم أيضا، لأن الحكومات عندئذ تستطيع في المجال الدبلوماسي أن تستفيد من ذلك للضغط على العدوّ.

إمامنا العظيم، قد فهم هذه الحقيقة كلّ الفهم. منذ بداية نهضته سنة ١٣٤١هجرية شمسية (١٩٦٢م) أي قبل أربعين عامًا حين لم تكن القضية الفلسطينية في الأذهان قضية ملحّة حتى بين النخبة، كانت كلمة الإمام هي أن الجميع يجب أن يستشعروا الخطر مقابل هيمنة إسرائيل. على الجميع أن يستعدوا للمقاومة. وبعد ذلك واصل هذا الطريق. وكان ذلك واحدًا من الشعارات الكبرى لذلك الرجل السامي الإلهي.

أسال الله سبحانه أن يمنّ على الشعوب الإسلامية باليقظة، وأن يوفقنا لأن نعرف ما علينا من مسؤولية ونؤدي هذه المسؤولية. أسأله سبحانه أن يؤلّف بين قلوب المسلمين وأن يزيل بينهم عوامل الفرقة ويزيد عناصر الوحدة والألفة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

العاطفة الإنسانية
في سيرة الرسول(ص)

محمد علي التسخيري*

•الإسلام يربّي الجانبين العقلي والشعوري معًا • أروع انطباق للحق هو في الذات الإلهية• العلاقات في الكون مؤطرة بإطار الحب في التصور الإسلامي • العزّة الإلهية في القرآن الكريم مقرونة بالرحمة • إن المتتبع لسيرة الرسول وسنته (ص) يجدها بوضوح أروع تجل لهذه الحقائق، (الحق والعدل، والحب، والرحمة) ليكون بحق المتمم لمكارم الأخلاق، والرحمة المهداة للبشرية.

قبل الحديث عن هذا الجانب المهم في سيرته(ص) نرى من المستحسن ذكر بعض النقاط وهي:

اولاً: العاطفة جزء مهم من الشخصية الإنسانية، والواقعية، وهي من أهم صفات الإسلام العامة تقتضي الاهتمام بها،

* – الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

وترشيدها لتتحقق الثمار المرجوة. وهنا نجد الإمام عليا(ع) في مجال وصفه للانسجام بين مكونات الشخصية الإنسانية، وهي العقل والفكر والعاطفة والحواس والسلوك يقول: «العقول أئمة الأفكار، والأفكار أئمة القلوب، والقلوب أئمة الحواس، والحواس أئمة الجوارح» ليكشف بدقة عن جذور السلوك الإنساني الواعي.

والإسلام يعمل على تربية الإنسان في كل هذه المراحل:

أ – يقوم بتربية عنصر التعقل الغريزي في الإنسان فيدفعه للتأمل والتدبر والتعقل والبرهنة والنظر وأمثال ذلك.

ب – يؤكد على الأسلوب المنطقي للعملية العقلية مبتعدًا بها عن ما يخلّ بالنتائج من أساليب تتنافى والحوار السليم.

ج – يربّي العنصر العاطفي ويشبعه بحب أصيل لأروع محبوب وهو الله تعالى الجامع لكل ما ترغب النفس فيه من كمال مطلق، فتسمو العاطفة غاية السمو.

د – يعطي الشريعة الغراء الفطرية التي تنظم السلوك وترسم خارطة السعادة.

هـ – يربي الإرادة القوية الواعية التي تبقى أسمى من كل دافع عاطفي مهما كان متأججًا للتأكد من كون العاطفة تسير في الاتجاه الصحيح أم لا، وتحتفظ بحريتها في توجيه السلوك. وبهذه الحرية تحصل المسؤولية. فلسنا مع من يصف (الإرادة) بـ(العاطفة

المتأججة) وإلا لوقعنا في (الجبرية) وهو الأمر المرفوض وجدانًا وشرعًا. ولكن يبقى للعواطف دورها المؤثر على الإرادة والسلوك. ومن هنا جاء التأكيد الإسلامي على هذه المسألة بشتى الأساليب ومنها:

١ - الأساليب التوجيهية المباشرة التي تحذّر من الأهواء الجامحة بل والطاغية، فيقول القرآن الكريم: ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا﴾.

٢ - الأساليب غير المباشرة باستخدام الأمثال والقصص التي تمجّد الذين سيطروا على دوافعهم وأهوائهم كالأنبياء والصالحين.

٣ - تقديم النماذج العملية المتمثلة في سلوك النبي(ص) والقادة الذين رباهم من أهل البيت الطاهرين(ع) والصحابة الميامين(رض).

٤ - دعوة المسلمين بالارتفاع بحبهم الى أسمى المستويات وهي حب الله وحب رسوله وحب أهل بيته الطاهرين وأصحابه المخلصين، وحينئذ تنتظم العواطف في منظومة رائعة منسجمة مع الفكر، وخلاقة للعمل للصالح.

ثانيًا: وتتم هذه العملية التربوية للعواطف بعد تأصيل وتعميق الإيمان بالله الجامع لكل صفات الكمال والجلال، وربط الإنسان به الى أقصى حدٍّ من جهة، وتربية تصوّره عن الكون والحياة بتأكيد قيامهما على أصول أهمها (الحق، والعدل،

والحب، والرحمة) ويبقى الفكر والعاطفة يعيشان في هذه الأجواء ويكملان فيها. وتأتي سيرة الرسول وسنّته لتؤصّل هذه المعاني، وتقدم التجسيد الحسي الأمثل لها. ولشيء من التوضيح نلاحظ هذه الأصول:

أولاً - الحق سرّ الكون

ويمكننا أنّ نستنتج من مجموع ما قيل في معنى الحق أنه يعني باختصار: الأمر الواقع أو الواقعي.

ونقصد بالواقع: الموجود المتعين في الواقع الموضوعي أو العالم المستقل عن الصور الذهنية، وبالواقعي الأمر الذي يطابق مقتضيات الواقع الخارجي.

وأروع انطباق للحق هو في الذات الإلهية باعتبار أنّها بلغت من الوضوح لدى الفطرة الإنسانية بحيث عاد الإيمان بها إيمانًا بديهيًا. فأنوار الله تعالى قد غمرت الوجود فلم تعد تبصر الله تعالى في كل شيء، لذا كان هو الحق الذي لا مراء فيه والواقع الذي لا يشك فيه.

أما ما عداه تعالى من مخلوقاته وتشريعاته التي أسماها القرآن بالحق فهي - كما أرى - اكتسبت صفة الحق من وجهتين:

أ - من كونها واقعًا موضوعيًا وهذا كما نشاهده في قوله تعالى: ﴿يوم يقوم الناس بالحق﴾. فيلاحظ هنا التأكيد على

الأشياء الخفية عن حس الإنسان وإعطائها صفة كونها حقًا لتركيز الإيمان بها.

ب - من كونها وجدت وفق مخطط إلهي عام للكون، كل جزء فيه ضروري لسير الحركة الكونية، ودخيل في تحقق الغاية المرجوة من الخلق التي أرادتها العناية الإلهية منذ أرادت أن يكون فكان، وفي هذا القسم الثاني تدخل كل الأشياء سواء كانت مخلوقات تكوينية أو قوانين تشريعية. يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ . ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بالحق﴾

ثانيًا - العدل يسري في أنحاء الوجود:

رغم أن البحث الكلامي والجدل الذي دار بين الفرق الإسلامية كان ينتهي أحيانًا إلى نتائج معيّنة، يتغلب فيها أنصار العدل حينًا، وتقوى الشبهات فيغلب أنصار رفض العدل حينًا آخر، فإنَّه مما لا شك فيه لدى المسلم: أنَّ العدل - بأي معنى من معانيه - يبدأ بالعدل الإلهي بمفهومه الإجمالي الذي حدّثنا عنه القرآن الكريم، وينتهي بتطبيقاته في كل ذرة من ذرات الوجود.

فالعدل العام إذن في اعتقاد المسلم قوة أخرى وعامل قوي من العوامل المعنوية، التي تتدخل لصالح القضية العادلة في الكون... والظلم بنفسه يشكل عاملاً من عوامل الزوال والفناء، بغض النظر عن العوامل الأخرى.

ثالثًا – الحب إطار العلاقات بين مختلف أنحاء الوجود:

ومما يعتقد به المسلم على ضوء القرآن الكريم: أنَّ هناك إطارًا رحيمًا عامًا شاملاً لكل أنحاء الوجود، وساريًا في مختلف أنواعها، فالعلاقات بين الخالق والمخلوقين يؤطرها الحب، والعلاقات بين المخلوقين المتَّحدي الهدف والمتأدبين بأدب السماء روحها الحب، وحتى العلاقة بين المؤمنين في الكون وبين أجزاء الكون التي لا تمتلك شعور الإنسان، حتى هذه العلاقة، يحكمها الحب المتبادل.

ومبررات هذا الحب واضحة تمامًا على ضوء العقيدة الإسلامية وتعاليم القرآن، فإذا بدأنا بالإطار الودي القائم بين الإنسان وربه أدركنا أروع علاقة حب تتفاوت درجاتها، من حب يقوم على المصلحة في طرف الإنسان ولكنه على أي حال حب جارف، إلى حب خالص واع يعبر عن قمة في هذا المعنى، أنّه حب الأوصياء المخلصين.

والإسلام يمتلك خاصية أنّه يبدأ بالأشياء ببداية بسيطة، كإقامة حب يقوم على ذلك الأساس المصلحي، ثم يرتفع به إلى مستوى يجعله جزءًا من كيان الإنسان. ودافعًا ذاتيًا يتحكم في سلوكه، ويوجهه لصالح القضية الإنسانية العامة.

أما الحب من طرف الباري جل إسمه، فهو وإن كان يخلق في نفوس السذج من المؤمنين نفس الإيحاءات والتصورات البشرية من الحب بين الكائنات، ولكنه في الواقع أسلوب تعبيري عن القرب

من العطاء الإلهي والاختصاص بالرحمة والرضوان بصورة أكبر من ذي قبل .

والنصوص تثبت الحب لأصناف المؤمنين الواعين، من أمثال (المحسنين، التوابين، المتطهرين، المتقين، الصابرين، المتوكلين، المقسطين، الذين يقاتلون في سبيله صفًا كأنهم بنيان مرصوص) والنصوص تثبت الحب بين أفراد المؤمنين ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾.

وتربط بعلاقة الحب بين الإنسان والطبيعة، بعد أن يشعر الإنسان بأنّ الطبيعة مسخرة له ولصالحه هو، وبعد الإيحاء إليه بأنّ يد العناية الإلهية قد باركت في الأرض أقواتها.

وقد ورد عن النبي العظيم(ص) أنه قال عندما رجع من غزوة تبوك وعندما أشرف على المدينة: «هذه طابة، وهذا جبل أحد يحبنا ونحبه».

كما عبر عن ذلك بأن «حب الوطن من الإيمان» .

وهكذا ننتهي إلى حلقة رائعة من حلقات هذا الحب، جعلها القرآن بمثابة أجر للرسالة الإسلامية، والجهود التي بذلها الرسول الأعظم في خدمة هذه الأمة، وهي حلقة ربط الأمة كل الأمة بأهل البيت الذين هم خير مؤهل لقيادتها نحو شواطئ الأمان، والذين هم سفن النجاة، وباب حطة للعالمين»: ﴿قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾.

وأخيرًا ننتهي إلى حلقة صغرى من حلقاتها، وهي المودة القائمة بين الزوجين: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّة وَرَحْمَةً﴾.

رابعًا – الرحمة: بها انطلق هذا الوجود الكائن

هذا المقطع المبارك يعتبر أروع مقطع جامع يعبّر عن سر العقيدة الإسلامية، فقد وردت بعض الروايات التي تركز على أنّ القرآن جمع في سورة الفاتحة، وأن سورة الفاتحة جمعت في البسملة... وعند تحليلنا لهذا المضمون لا يسعنا إلا أن نرى أنها تشير إلى: أنّ سورة الفاتحة إنما اعتبرت روح القرآن باعتبار أنها تحوي أصول العقيدة الإسلامية بصورة إجمالية، والقرآن قد أطر كل شيء تحدّث عنه في إطار العقيدة، والبسملة التي شكلت روح العقيدة تعني انطلاق كل شيء في الوجود من رحمة الله سبحانه.

وهذه حقيقة نجدها متمشية في مختلف المواضع من القرآن الكريم، معبرة عن مظهر من مظاهر الكمال في الذات الإلهية، مما خلق اعتقادًا راسخًا عند المسلم: أنه منطلق من مصدر الرحمة، ومنته إلى عالم الرحمة، وسائر في كنف هذه الرحمة، التي تتجاوز عن الكثير من موارد الانحراف التي تطرأ أحيانًا على سلوكه.. وسنجد عند استعراضنا لأثار الدعاء: الكثير من الأساليب التربوية العقائدية، التي تركز على هذا الجانب.

وفي القرآن الكريم نجد الكثير من الآيات الكريمة التي تقرن صفة العزة الإلهية بالرحمة، وتنتهي بعبارة: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

وبهذا نكون قد عرفنا القوانين الأساسية المتحكمة في الكون، وهي قوانين: (**الحق والعدل والحب والرحمة**)، وكلها

مما تتعلق به القلوب، وتنمو به العواطف والأحاسيس.

وقد قدم الإسلام رسوله الكريم أروع مثال لهذه الحقائق وكانت سنته وسيرته تعمقها في النفوس.

الرسول الكريم أعظم مظهر لهذه المعاني

إن المتتبع لسيرته وسنته (ص) يجده بوضوح أروع تجل لهذه الحقائق، (الحق والعدل، والحب، والرحمة) ليكون بحق المتمم لمكارم الأخلاق، والرحمة المهداة للبشرية.

من الجميل أن نذكر بعض المقاطع من (نهج البلاغة) يصف فيها الإمام علي(ع) أستاذه ومعلمه ونبيه ومحبوبة رسول الله(ص) بأروع الأوصاف فيقول:

«بَعَثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) لإِنْجَازِ عِدَتِهِ وإِتْمَامِ نُبُوَّتِهِ مَأْخُوذًا عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ كَرِيمًا مِيلَادُهُ» ويقول عنه: «قَائِمًا بِأَمْرِكَ مُسْتَوْفِزًا فِي مَرْضَاتِكَ غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ ولا وَاهٍ فِي عَزْمٍ وَاعِيًا لِوَحْيِكَ حَافِظًا لِعَهْدِكَ مَاضِيًا عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ الْقَابِسِ وأَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ وهُدِيَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ والآثَامِ».

ويصف سيرته فيقول: « سِيرَتُهُ الْقَصْدُ وسُنَّتُهُ الرُّشْدُ وكَلامُهُ الْفَصْلُ وحُكْمُهُ الْعَدْلُ »

ويقول عنه: « فَبَالَغَ (صلى الله عليه وآله) فِي النَّصِيحَةِ ومَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ ودَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ »

وكذلك يقول: «حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا (صلى الله عليه وآله) شَهِيدًا وبَشِيرًا ونَذِيرًا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ طِفْلاً وأَنْجَبَهَا كَهْلاً وأَطْهَرَ الْمُطَهَّرِينَ شِيمَةً وأَجْوَدَ الْمُسْتَمْطَرِينَ دِيمَةً».

وفي موضع آخر يقول عنه: « التَّصْدِيقُ مِنْهَاجُهُ والصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ والْمَوْتُ غَايَتُهُ والدُّنْيَا مِضْمَارُهُ والْقِيَامَةُ حَلْبَتُهُ والْجَنَّةُ سُبْقَتُهُ ... فهو لعيشك نعمة للعالمين، ورسولك بالحق رحمة»

وكذلك يقول: « طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ وأَحْمَى مَوَاسِمَهُ يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ وآذَانٍ صُمٍّ وأَلْسِنَةٍ بُكْمٍ ».

«عبده ورسوله، ونجيبه وصفوته، لا يؤازى فضله، ولايجبر فقده، اضاءت به البلاد بعد الضلالة المظلمة، والجهالة الغالبة».

«وَلَقَدْ كَانَ (صلى الله عليه وآله) يَأْكُلُ عَلَى الأَرْضِ ويَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ ويَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ ويَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ ويَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَ ويُرْدِفُ خَلْفَهُ»

«امين وحيه، وخاتم رسله، وبشير رحمته، ونذير نقمته»

ولا أجد أروع من هذه الأوصاف، كما لا استطيع ان أفصل في مواقفه(ص) بين موقف وموقف.

والمستعرض لسيرة رسول الله(ص) يجدها ملأى بالعطف والحنان والمشاركة للأصحاب في كل الاعمال، الأمر الذي يثير الحماس فيهم وينسيهم مصاعب المسير ويدفعهم للتفاني. فقد أخبر الخليفة الراشد عثمان عن ذلك بقوله: «إنا والله قد صحبنا رسول

الله(ص) في السفر والحضر، وكان يعود مرضانا، ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير»[1].

وكان(ص) يعمل مع أصحابه في الخندق عملاً شاقاً وربما صاحب ذلك الجوع الشديد.

وقد ورد عن الرضا عن آبائه عن أمير المؤمنين علي: «كنا مع النبي(ص) في حفر الخندق اذ جاءت فاطمة ومعها كسرة من خبز فدفعتها إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال(ص) ما هذه الكسيرة؟ قالت: خبزته قرصًا للحسن والحسين جئتك منه بهذه الكسيرة، فقال النبي(ص): يا فاطمة أما إنه اول طعام دخل جوف ابيك منذ ثلاث»[2]. ومن أروع ما في سيرته(ص) أنه كان يواجه المواقف الكبيرة مواجهة عقائدية وعاصفة تلهب الحماس في النفوس وتدفعها نحو التضحيات الجسام.

يقول الامام علي(ع) كما يذكر نهج البلاغة: « وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) نَقْتُلُ آبَاءَنَا وأَبْنَاءَنَا وإِخْوَانَنَا وأَعْمَامَنَا مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلاّ إِيمَانًا وتَسْلِيمًا ومُضِيًّا عَلَى اللَّقَمِ وصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْأَلَمِ وجِدًّا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ.

... فلما راى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت، وأنزل علينا النصر»[3].

---

١ - رواه احمد ٧٠/١، نهج البلاغة، للسيد الرضي: الخطبة رقم (١٠٠).

٢ - بحار الانوار، ج ١٦، ص ٢٢٥، طبقات ابن سعد، ج ٢، ص ١١٤.

٣ - نهج البلاغة ، ص ٩٢.

الفكر
مصادره وزلاّته

مرتضى مطهري *

• القرآن إذ يؤكد الاجتهاد في العقيدة يؤكد أيضًا على مظاهر الزلل في التفكير • الاهواء النفسية أو الأحكام المسبقة هي من قبيل الظن • القرآن يندد بمن يقبل أفكار السابقين دونما إخضاع للمقاييس العقلية • عبادة الشخصيات من عوامل زلات الفكر • القرآن يدعو إلى التفكير في الطبيعة والتاريخ والوجدان الإنساني.

زلات الفكر في نظر القرآن

القرآن الكريم، إذ يحثّ الفرد على التفكير ويمنح التفكير صفة عبادية ويؤكّد على ضرورة الاجتهاد في الإيمان بأصول العقيدة، يهتم بمسألة أساسية في هذا الحقل ترتبط بزلات الفكر، فيؤكد على مظاهر الزلل، وأسبابه، وطرق الوقاية

* – مفكر إسلامي كبير.

منه، نذكرها فيما يلي:

١ـ اتباع الظن

يقول القرآن الكريم: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ﴾.

ويؤكد على ضرورة الابتعاد عن اتخاذ أي موقف لا يقوم على أساس علم ويقين:

﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الاسراء/ ٣٦).

وهذه حقيقة أضحت ثابتة اليوم في الحقل الفلسفي. واعتمدها «ديكارت» بعد ألف عام من نزول القرآن، باعتبارها الأساس المنطقي الأول لفلسفته فيقول:

«لا اعتبر الشيء حقيقيًا إلا إذا كان بديهيًا عندي. واجتنب التسرع والرغبة الذاتية وسبق الذهن، ولا أقبل شيئًا ما لم يتّضح بحيث لا يبقى فيه أي شك وشبهة».

٢- الأهواء النفسية

إن أراد الإنسان أن تكون أحكامه صحيحة، فعليه أن يكون محايدًا تجاه المسألة التي يفكر فيها. أي أن يسعى نحو اكتشاف الحقيقة ويسلم نفسه للأدلة والوثائق والمستندات.

القاضي الذي يطالع ملف الاتهام ينبغي أن يكون محايدًا تجاه طرفي الدعوى. ولو مال إلى أحد الطرفين، لا نجذب، لا شعوريًا نحو أدلة ذلك الطرف، ولأهمل أدلة الطرف الآخر، وهذا ما يؤدي إلى ابتعاد القاضي عن الصواب.

والإنسان كذلك، إن لم يحافظ على حياده في إصدار أحكامه على المسائل المختلفة، وانحاز إلى جانب معين، يتّجه مؤشر فكره لا شعوريًا تجاه أهوائه النفسية، ومن هنا يعتبر القرآن الأهواء النفسية ـ تماما مثل الظنّ ـ من عوامل الانحراف.

يقول تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأنفُسُ﴾ (النجم/٢٣).

٣- التسرع:

كل حكم يصدر عن الإنسان بحاجة إلى مقدار معين من الوثائق والمستندات كي يكون ذلك الحكم صحيحًا بعيدًا عن زلّة الفكر وتسرّعه.

القرآن الكريم يشير كرارًا إلى قلة الرصيد العلمي للإنسان، وعدم كفايته لإصدار بعض الأحكام الكبيرة، وينهى الإنسان عن الجزم في أمور لم يتثبت منها، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (الاسراء/ ٨٥).

وعن الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ قال: (١).

إن الله خصّ عباده بآيتين من كتابه: أن لا يقولوا حتى يعلموا، ولا يردّوا مالم يعلموا، قال الله عزوجل: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾ (يونس/ ٣٩).

٤- روح التقليد والرجعية:

الإنسان يميل ـ بادي الرأي ـ إلى تقبل الأفكار والعقائد الموروثة

١- تفسير الميزان، الجزء ٨، ص ٣١٩.

من الأجيال السابقة، دون تمحيص وتدقيق.

والقرآن يندّد بأولئك الذين يقبلون أفكار الأجيال السابقة دون أن يخضعوها للمقاييس العقلية فيقول:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة/١٠٧).

٥- عبادة الشخصيات:

من عوامل زلات الفكر وانحرافه، الارتباط العاطفي الأعمى بالشخصيات الكبيرة التاريخية أو المعاصرة. هذه الشخصيات تغمر نفوس بعض الأفراد، وتؤثر على أفكارهم وعزمهم وإرادتهم، بل يفقد هؤلاء الأفراد استقلالهم الفكري والإرادي وتضحى أفكارهم وإرادتهم مسخرة لأولئك الشخصيات.

القرآن الكريم يدعو البشرية إلى الاستقلال الفكري، ويدين الاتّباع الأعمى للشخصيات، فينقل عن لسان مثل هذه الفئة الضالة قولها: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾ (الاحزاب/٦٧).

مصادر التفكير في الإسلام

القرآن الكريم، في دعوته إلى النظر والتفكير، يعرض - إضافة إلى عوامل زلات الفكر - مصادر التفكير، أي الموضوعات التي يليق بالإنسان أن يفكّر فيها ويتخذها مصادر لعلمه واطلاعاته.

الإسلام يعارض بذل الجهد في المسائل العقيمة التي لا نتيجة لها سوى إرهاق العقل، وفي المسائل التي لا جدوى فيها للإنسان ولا طائل تحتها.

الرسول الأكرم (ص) يستعيذ بالله من علم لا ينفع، بينما الإسلام يحث أشد الحث على تلقي العلوم المفيدة المثمرة المجدية.

القرآن يطرح ثلاثة مواضيع للتفكير النافع.

١ـ الطبيعة:

القرآن شجع في آيات كثيرة على التفكير في الطبيعة، أي في الأرض والسماء والكواكب والشمس والقمر والسحب والمطر، والرياح، وحركة السفن، والزرع، والحيوانات.. وكل أمر محسوس يحيط بالإنسان، وحث على التأمل فيها والاستنتاج منها كقوله تعالى: ﴿قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (يونس/١٠٢).

٢- التاريخ:

القرآن يرى أن حركة التاريخ خاضعة لقوانين وسنن ثابتة، وهذه السنن تتحكم فيما يطرأ على المجتمعات البشرية من رقي وانحطاط ونجاح وفشل وسعادة وشقاء، على مر التاريخ. وبالتعرف على هذه السنن يصبح بالإمكان السيطرة على مجرى التاريخ المعاصر، ودفع الأحداث نحو سعادة الفرد والمجتمع.

من هنا حثّ القرآن على التفكير والنظر في تاريخ الأمم

السالفة، واعتبر ذلك مصدرًا من مصادر العلم، كقوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (آل عمران/ ١٣٧).

٣- الوجدان الانساني:

القرآن يذكر الوجدان الإنساني باعتباره أحد مصادر المعرفة الخاصة.

العالم بأجمعه مليء بآيات إلهية وعلامات ومؤشرات من أجل كشف الحقيقة.

القرآن يعبر عن العالم الخارجي للإنسان بكلمة «الآفاق» وعن العالم الداخلي للإنسان بكلمة «الأنفس» وبهذه الطريقة يؤكد على أهمية الوجدان الإنساني:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت/ ٥٣).

للفيلسوف الألماني «كانت» جملة مشهورة محفورة على قبره يقول فيها: «ثمة شيئان يثيران دهشة الإنسان: الأول السماء المليئة بالكواكب فوق رؤوسنا، والثاني الوجدان والضمير في داخلنا».

القسم السادس : الذنوب التي تنقص العمر

سيد هاشم الرسولي المحلاتي *

• ما أكثر من خبت جذوة حياتهم في عنفوانها نتيجة قطع الرحم • الكذب من الأخطار التي تهدد البشرية على الصعيد الفردي والاجتماعي • أحد الآثار الهدامة للزنا قصر العمر • الأجل المعلق يتغير بالدعاء والصدقة • العلماء يقرون اليوم اثر الدعاء في شفاء الامراض

يشرح الامام علي بن الحسين زين العابدين (ع) عوامل قصر العمر فيقول: «والذنوب التي تعجل الفناء: قطيعة الرحم، واليمين الفاجرة، والأقوال الكاذبة، والزنا، وسدّ طرق المسلمين، وادّعاء الامامة بغير حق».

وفي هذا الحديث يعدد الامام ستة عوامل مؤدية إلى تعجيل الهلكة والفناء نتناول هنا بعضها.

* – عالم دين إيراني.

قطيعة الرحم تعجل الفناء

قد يكون القارئ الكريم قد شاهد في حياته مصاديق لهذه العلاقة، فما أكثر الأفراد الذين طال عمرهم في خير وبركة نتيجة صلة الرحم، وما أكثر من خبت جذوة حياتهم في عنفوانها نتيجة قطيعة الرحم.. النصوص الدينية أكدت على هذه العلاقة، والروايات كثير في هذا المجال نذكر طائفة منها.

عن أمير المؤمنين علي(ع): «إن اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم تذران الديار بلاقع من أهلها».

وروى أبو حمزة الثمالي عن أمير المؤمنين(ع) قوله: «أعوذ بالله من الذنوب التي تعجل الفناء».

فقام إليه رجل من الخوارج وقال: يا علي، وهل هناك ذنوب تعجل الفناء؟

قال الامام: «نعم ويلك، قطيعة الرحم...».

بين الإمام الصادق(ع) والمنصور

بعث أبو جعفر المنصور إلى الإمام الصادق(ع)، وأمر بفرش فطرحت له إلى جانبه فأجلسه عليها ثم قال: عليّ بمحمد، عليّ بالمهدي (اسم ولده ولقبه) يقول ذلك مرارًا، فقيل له: الساعة الساعة يأتي يا أمير المؤمنين، فما لبث أن وافى، فأقبل المنصور على الإمام الصادق(ع) فقال: يا أبا عبدالله حديث حدِّثه في صلة

الرحم. اذكره يسمعه المهدي. قال الصادق(ع):

«نعم، حدثني أبي عن أبيه عن جدّه عن علي(ع) قال: قال رسول الله(ص): إن الرجل ليصل رحمه وقد بقي من عمره ثلاث سنين فيصيرها الله عزوجل ثلاثين سنة، ويقطعها وقد بقي من عمره ثلاثون سنة فيصيّرها الله ثلاث سنين. ثم قال(ع): يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب».

قال المنصور: هذا حسن يا أبا عبدالله، وليس إياه أردت.

قال أبو عبدالله(ع): «نعم، حدثني أبي عن جده عن علي(ع) قال: قال رسول الله(ص): صلة الرحم تعمر الديار وتزيد في الأعمار وان كان أهلها غير أخيار».

قال المنصور: هذا حسن يا أبا عبدالله، وليس إياه أردت.

فقال أبو عبدالله(ع): «نعم، حدثني أبي عن أبيه عن جده عن علي(ع) قال: قال رسول الله(ص) صلة الرحم تهون الحساب وتقي ميتة السوء».

قال المنصور: نعم هذا أردت.

قطع الرحم بعد الشرك بالله!

جاء رجل رسول الله(ص) فقال: ما أبغضُ الأعمال إلى الله؟

قال: الشرك بالله.

قال: ثم ماذا؟

قال: قطيعة الرحم.

قال ثم ماذا؟

قال: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف.

قصة من الكافي

روى أحد أصحاب الامام الصادق(ع) أنه قال للإمام:

ـ إن إخوتي وبني عمِّي قد ضيقوا علي الدار، وألجؤوني، منها إلى بيت، ولو تكلمت أخذت ما في أيديهم.

قال الإمام: اصبر فإن الله سيجعل لك فرجًا.

قال: فانصرفت، ووقع الوباء في سنة إحدى وثلاثين ومئة، فماتوا والله كلهم، فما بقي منهم أحد. قال: فخرجت فلما دخلت عليه قال (الامام):

ـ ما حال أهل بيتك؟

قال: قلت له: قد ماتوا والله كلهم، فما بقي منهم أحد.

فقال: هو بما صنعوا بك وبعقوقهم إياك وقطع رحمهم بتروا، أتحبّ أنهم بقوا وأنهم ضيّقوا عليك؟

قال: قلت أي والله.

ثلاثة أحاديث في صلة الرحم

عن الإمام الباقر(ع) قال: «صلة الأرحام تزكي الأعمال وتنمي

الأموال، وتدفع البلوى، وتيسر الحساب وتنسئ في الأجل».

وروي عن رسول الله(ص) أنه قال: «أوصي الشاهد من أمتي والغائب ومن في أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى يوم القيامة أن يصل الرحم وإن كانت منه على مسيرة سنة، فإن ذلك من الدين».

وعن الإمام الصادق(ع) قال: «ما نعلم شيئًا يزيد في العمر إلاّ صلة الرحم، حتى أن الرجل يكون أجله ثلاث سنين فيكون وَصولا للرحم فيزيد الله في عمره ثلاثين سنة فيجعلها ثلاثًا وثلاثين سنة. ويكون أجله ثلاثًا وثلاثين سنة فيكون قاطعًا للرحم فينقصه الله ثلاثين سنة ويجعل أجله إلى ثلاث سنين».

الكذب ينقص العمر

الكذب من الأخطار التي تهدد المجتمع البشري على الصعيدين الفردي والاجتماعي. يقول أمير المؤمنين علي(ع):

«ألا فاصدقوا فإن الله مع الصادقين، وجانبوا الكذب فإن الكذب مجانب الإيمان، إلا وإن الصادق على شفا منجاة وكرامة، إلا وإن الكاذب على شفا مخزاة وهلكة».

وقال في حديث آخر: «الصدق ينجي والكذب يردي».

والأحاديث تؤكد بشكل خاص على الأثر المدمر للكذب المقرون باليمين.

قال رسول الله(ص): «من حلف على يمين وهو يعلم أنه كاذب

فقد بارز الله بالمحاربة، وإن اليمين الكاذبة تذر الديار بلاقع من أهلها وتورث الفقر في العقب».

عاقبة كذب الزبيري

يحيى بن عبدالله بن الحسن – من أحفاد الحسن المجتبى عليه السلام – ومن المقربين للامام الصادق(ع)، وروى عنه أحاديث كثيرة. حين ثار الحسين بن علي – شهيد فخ – في عصر الهادي العباسي نهض لمناصرته، وبعد شهادته توارى عن الأنظار، وبقي متنقلا في المدن متنكرًا. ووصل إلى الديلم في عهد الرشيد، فالتف حوله الناس، وازدادت شوكته.

بلغ الرشيد خبر يحيى، فاستاء، وأمر الفضل بن يحيى البرمكي وهو آنذاك على نواحي خراسان أن يستميل يحيى بكل ما استطاع وينهي الغائلة.

استطاع الفضل أن يفعل ذلك، وانتهى الأمر بالصلح، وإمضاء وثيقة أمان، فأرسل الفضل يحيى وأتباعه إلى بغداد، فرحب به الرشيد وأكرم وفادته، ولكنه كان يتربص به ليوقعه في السجن بتهمة التآمر ضد النظام الحاكم.

وفي مرة جاء عبدالله بن مصعب الزبيري إلى الرشيد وأخبره أن يحيى بن بن عبدالله طلب منه البيعة. فأمر الرشيد أن يجمع بين يحيى وابن الزبير، وفي هذا الاجتماع دارت أحاديث طريفة ننقلها

للقارئ، لكنا نستهدف بيان نهاية هذه الجلسة وكيف أدت إلى هلاك الزبيري بسبب قسمه كذبًا.

يقول ابو الفرج: «ثم دعا (الرشيد) وجمع بينه (يحيى) وبين عبدالله بن مصعب الزبيري ليناظره فيما رفع إليه، فجبهه ابن مصعب بحضرة الرشيد وقال له: نعم يا أمير المؤمنين إن هذا دعاني إلى بيعته.

قال له يحيى: أتصدق هذا وتستنصحه؟ وهو ابن عبدالله بن الزبير الذي أدخل أباك وولده الشعب وأضرم عليهم النار حتى خلّصه أبو عبد الله الجدلي صاحب علي بن أبي طالب منه عنوة. وهو الذي بقي أربعين جمعة لا يصلي على النبي (ص) في خطبته حتى التاث عليه الناس. فقال: إن له أهل بيت سوء إذا صليت عليه أو ذكرته أتلعوا اعناقهم واشرأبوا لذكره وفرحوا بذلك فلا أحب أن أقر عينهم بذكره.. ووالله إن عداوة هذا يا أمير المؤمنين لنا جميعًا بمنزلة سواء، لكنه قوي علي بك وضعفت عنه، فتقرب بي إليك، ليظفر منك بما يريد، إذ لم يقدر على مثله منك، وما ينبغي لك أن تسوغه ذلك فيَّ، فإن معاوية بن أبي سفيان وهو أبعد نسبًا منك إلينا ذكر يومًا الحسن بن علي فسفهه، فساعده عبدالله بن الزبير على ذلك، فزجره معاوية وانتهره، فقال: إنما ساعدتك، يا أمير المؤمنين! فقال: إن الحسن لحمي آكله ولا أوكله.

فقال عبدالله بن مصعب: ان عبدالله بن الزبير طلب أمرًا فأدركه، وأن الحسن باع الخلافة من معاوية بالدراهم، اتقول هذا في عبدالله بن الزبير وهو ابن صفية بنت عبدالمطلب؟

فقال يحيى: يا أمير المؤمنين، ما أنصفنا أن يفخر علينا بامرأة من نسائنا وأمرأة منا، فهلا فخر بهذا على قومه من النوبيات والاساميات والحمديات!

فقال عبدالله بن مصعب: ما تدعون بغيكم علينا وتوثبكم في سلطاننا؟

فرفع يحيى رأسه إليه، ولم يكن يكلمه قبل ذلك، وإنما كان يخاطب الرشيد بجوابه لكلام عبدالله، فقال له أتوثبنا في سلطانكم؟ ومن أنتم - أصلحك الله - عرّفني فلست اعرفكم؟ فرفع الرشيد راسه إلى السقف يجيله فيه ليستر ما عراه من الضحك، ثم غلب عليه الضحك ساعة، وخجل ابن مصعب.

ثم التفت يحيى فقال: يا امير المؤمنين، ومع هذا فهو الخارج مع أخي على أبيك وقائل له، (وذكر أبياتا منها):

إنا لنأمل أن ترتد ألفتنا ... بعد التدابر والبغضاء والإحن
حتى يثاب على الإحسان محسننا ... ويأمن الخائف المأخوذ بالدمن
وتنقضي دولة أحكامُ قادتها ... فينا كأحكام قوم عابدي وثن
فطالما قد بروا بالجور أعظمنا ... بري الصناع قداح النبع بالسفن
قوموا ببيعتكم ننهض بطاعتنا ... إن الخلافة فيكم يا بني الحسن

قال: فتغير وجه الرشيد عند استماع هذا الشعر، فابتدأ ابن مصعب يحلف بالله الذي لا إله إلا هو، وبإيمان البيعة إن هذا الشعر ليس له وأنه لسديف.

فقال يحيى: والله يا أمير المؤمنين ما قاله غيره، وما حلفت كاذبًا ولا صادقًا بالله قبل هذا، وإن الله إذا مجده العبد في يمينه بقوله: الرحمن الرحيم، الطالب الغالب استحيى أن يعاقبه، فدعني أحلفه بيمين ما حلف بها أحد قط كاذبًا إلا عوجل. قال: حلفه، قال:

قل: برئت من حول الله وقوته، واعتصمت بحولي وقوتي، وتقلدت الحول والقوة من دون الله، استكبارًا على الله، واستغناء عنه، واستعلاء عليه إن كنت قلت هذا الشعر.

فامتنع عبدالله من الحلف بذلك، فغضب الرشيد وقال للفضل بن الربيع: يا عباسي ماله لا يحلف إن كان صادقًا؟ هذا طيلساني عليّ، وهذه ثيابي، لو حلفني أنها لي لحلفت. فرفس الفضل بن الربيع عبد الله بن مصعب برجله وصاح به: احلف ويحك – وكان له فيه هوى – فحلف اليمين ووجهه متغير وهو يرتعد، فضرب يحيى بين كتفيه ثم قال: يا ابن مصعب قطعت والله عمرك، والله لا تفلح بعدها. فما برح من موضعه حتى أصابه الجذام فتقطع ومات في اليوم الثالث.

فحضر الفضل بن الربيع جنازته، ومشى الناس معه، فلما

جاءوا به إلى القبر ووضعوه في لحده، وجعل اللبن فوقه، انخسف القبر فهوى به حتى غاب عن أعين الناس، فلم يروا قرار القبر، وخرجت منه غبرة عظيمة، فصاح الفضل: التراب التراب، فجعل يطرح التراب وهو يهوي، ودعا بأحمال الشوك فطرحها فهوت، فأمر حينئذ بالقبر فسقف بخشب وأصلحه وانصرف منكسرًا. فكان الرشيد بعد ذلك يقول للفضل، أرأيت يا عباسي؟ ما أسرع ما أديل ليحيى من ابن مصعب.

قال الإمام محمد علي الباقر (ع):

«ثلاث خصال لا يموت صاحبهن أبدًا حتى يرى وبالهن: البغي وقطيعة الرحم، واليمين الكاذبة يبارز الله بها، وإن أعجل الطاعة ثوابًا لصلة الرحم، وإن القوم ليكونون فجارًا فيتواصلون فتنمى أموالهم ويثرون، وإن اليمين الكاذبة وقطعية الرحم ليذران الديار بلاقع من أهلها».

الزنا ينقص العمر

أحد آثار الزنا الهدامة قصر العمر، وهذا ما أكد عليه المأثور عن رسول الله (ص) حيث قال:

«يا معشر المسلمين. إياكم والزنا فإن فيه ست خصال، ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة، فإما التي في الدنيا فإنه يذهب بالبهاء ويوثر الفقر وينقص العمر، وأما التي في الآخرة، فانه يوجب

سخط الرب وسوء الحساب والخلود في النار».

وفي حديث آخر قال: «اياكم والزنا فإن فيه عشر خصال: نقصان العقل، والدين، والرزق، والعمر، وآفة الهجران، وغضب الرحمن، وهجوم النسيان، وبغض أهل الإيمان، وذهاب ماء الوجه، وردّ الدعاء، والعبادة».

وقال(ص): «الزنا يورث الفقر ويدع الديار بلاقع من أهلها».

وقال رسول(ص): «إذا ظهر الزنا من بعدي يكثر موت الفجاءة».

وفي حديث آخر قال: «خمس اذا أدركتموهن فتعوذوا بالله منهن:

-لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوها إلا ظهر فيهم الطاعون، والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا.

-ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدّة المؤونة وجور السلطان.

-ولم يمنعوا الزكاة إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا.

-ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسول الله إلا سلّط الله عليهم عدوّهم وأخذوا بعض ما في أيديهم.

-ولم يحكموا بغير ما أنزل الله إلا جعل الله عزوجل بأسهم بينهم»

عقوق الوالدين يقصر العمر

عن الإمام جعفر بن محمد الصادق(ع) أنه قال:

«نعوذ بالله من الذنوب التي تعجل الفناء وتقرب الآجال وتخلي الديار، وهي قطيعة الرحمن والعقوق وترك البر».

وفي حديث آخر عن رسول الله(ص) أنه قال: «ثلاثة من الذنوب تعجّل عقوبتها ولا تؤخّر إلى الآخرة: عقوق الوالدين والبغي على الناس، وكفر الإحسان».

وهكذا البر بالوالدين يطيل العمر.

قال الامام الباقر(ع): «البر وصدقة السر ينفيان الفقر ويزيدان في العمر ويدفعان عن سبعين ميتة سوء».

وفي حديث آخر عنه أيضا قال: «صدقة السر تطفي غضب الرب، وبر الوالدين وصلة الرحمن يزيدان في الأجل».

عمر (ميسّر) ازداد

روى حنان بن سدير (من أصحاب الإمام الصادق) قال: كنا عند أبي عبدالله(ع) وفينا شخص (اسمه) ميسّر فذكروا صلة القرابة، فقال أبو عبدالله(ع): «يا ميسّر قد حضر أجلك غير مرة ولا مرتين، كل ذلك يؤخر الله أجلك، لصلتك قرابتك، وإن كنت تريد أن يزاد فيعمرك فبرّ شيخيك» يعني أبويه.

وروى في موضع آخر عن ميسرة نفسه قال: «قال لي (الامام) يا

ميسر إني لا ظنك وصولا لقرابتك، قلت: نعم جعلت فداك، لقد كنت في السوق وأنا غلام وأجرتي درهمان وكنت أعطي واحدًا عمتي، وواحدًا خالتي، فقال: اما والله لقد حضر أجلك مرتين، كل ذلك يؤخر».

ملخص القسم الخامس والسادس

١ – كل نفس ذائقة الموت، ولا مفر من الأجل، لكن بعض أعمالنا ذات تاثير على إطالة أعمارنا أو قصرها، وقادرة على تأخير أجلنا.

٢–تذكر الروايات أن للانسان أجلين: أحدهما حتمي، والآخر معلق غير حتمي. الاجل الحتمي لا يتغير، أما المعلق فيقبل التغيير بالصدقة والدعاء وصلة الرحمن وأمثال هذه الاعمال.

٣–العلاقة بين الكذب وقصر العمر لا تخالف العلم، فعالمنا مليء بالعلاقات بين القوى المادية والمعنوية، والعلم كشف عن جانب من هذه العلاقات ولازال الجانب الاكبر منها مجهولا.

٤–العلماء يقرون اليوم تأثير الدعاء في شفاء الأمراض.

العمل بالحديث
وشروطه عند الامامية

محمد جواد مغنيه *

• لا تشترط العدالة في رواة الخبر المتواتر بالاتفاق • الخبر الذي حصل العلم بصدوره حجة معتبرة • اشترطوا الإسلام في الراوي تعظيما لنبوة محمد(ص) والإيمان بها • ليس لدى الإمامية صحاح بل كل الأحاديث خاضعة للجرح والتعديل • روى أصحاب الصحاح عن رجال من الشيعة • علماء السنة والشيعة متفقون على أن مقياس العمل بالحديث هو الثقة بصدق الراوي سنيا كان أو شيعيا.

إن مصادر الإسلام ومبادىء أصولا وفروعًا أربعة: الكتاب، والسنة والإجماع، والعقل.

معنى السنة:

و معنى السنة باصطلاح العلماء قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أو فعله، أو تقريره، ومعنى التقرير: الرضا والموافقة.

أدلة الثبوت:

و قد نستكشف رضا النبي وموافقته من الكتاب، أو

---

* - عالم لبناني.

الإجماع، أو العقل، وقد يحصل لنا الوثوق بأنه قال، أو فعل، أو وافق، عن طريق النقل والرواية.

وعقدنا هذا البحث لإثبات السنة بطريق النقل والرواية فقط، وعلى الأصح لبيان القيود والشروط التي يجب توافرها في الخبر الحاكي عن السنة عند الإمامية.

ذهبوا إلى أن الباحث المنقب عن السنة النبوية لا يجوز أن يعتمد لإثباتها على خبرته الشخصية، ومجرد اجتهاده ونظره مهما كان مصدر الظن والاجتهاد. ولا على مجرد خبر الراوي أيا كان، وكانت صفته، وإنما تثبت السنة بخبرين لا غير: الخبر المتواتر، والخبر الواحد.

الخبر المتواتر:

و عرفوا الخبر المتواتر بأنه خبر جماعة بلغوا من الكثرة مبلغًا أحالت العادة اتفاقهم وتواطؤهم على الكذب، على شريطة أن يستوي التواتر في جميع الطبقات، بحيث تكون الطبقة الأولى التي أخذت عن صاحب السنة مباشرة متواترة، وكذا الطبقة الثانية والثالثة، ولا تشترط العدالة في رواة الخبر المتواتر بالاتفاق، أما عددهم فلا يتعين بحد، والمهم أن نعلم بامتناع التواطؤ على الكذب، وأن يكون الخبر من شأنه وطبعه مفيدًا للعلم، بحيث لو اطلع عليه ذو الفطرة السليمة لعلم بوجود السنة، فلو افترض أن شخصًا اطلع عليه، ولم يحصل له العلم، لسبب من الأسباب يكون – مع ذلك – حجة عليه، ويلزمه العمل به.

الخبر الواحد:

الخبر الواحد في اصطلاح العلماء هو الذي لايبلغ حد التواتر، سواء أكان الراوي له واحدًا، أو أكثر، فوصف الوحدة هنا يراد به عدم التواتر، لا عدم التعدد، وبتعبير ثان أن المتواتر أخذ «بشرط شيء» أي بشرط التواتر، والواحد أخذ «بشرط لا» أي بشرط عدم التواتر، والخبر الشامل لهما معا «لا بشرط» أي لايشترط فيه التواتر ولا عدمه، ومن هنا قالوا: إن كلا من الخبر المستفيض والخبر المشهور نوع من الخبر الواحد.

و المستفيض في اصطلاحهم ما رواه أكثر من اثنين، ولم يبلغ مبلغ المتواتر، والمشهور ما اشتهر على الألسن، وفي الكتب، وإن كان روايه واحدًا، وعليه تكون الاستفاضة وصفًا لروای الخبر لا للخبر، والشهرة وصفًا للخبر لا للراوي.

أما الخبر الذي حصل العلم بصدوره من القرائن الداخلية أو الخارجية، كخبر «إنما الاعمال بالنيات، ولكن امرئ ما نوى» أما هذا، وما إليه فلا جدال ولا نقاش بين العلماء في أنه حجة معتبرة، لا للشهرة أو الاستفاضة، ولا للتواتر أو أي شيء آخر، بل لمجرد العلم بالصدور الذي هو حجة بنفسه، وبدون جعل جاعل.

و بهذا يتبين معنى أن كلا من الخبر المتواتر، والمحفوف بالقرائن المفيدة للقطع يجب الأخذ به، والاعتماد عليه بالاتفاق، أما الخبر الذي لم يبلغ حد التواتر، ولم يعلم بصدوه من القرائن

فهو محل الكلام والبحث، سواء أكان مستفيضًا، أو مشهورًا، أو غريبًا، لم يروه إلا فرد، ولم يشتهر على الألسن، ولا في الكتب.

و تكلم الفقهاء عن هذا الخبر من جهات شتى، تكلموا في أصل صدوره عن صاحب السنة، وقسموه من هذه الجهة إلى أقسام: صحيح وضعيف وحسن وموثق، وتكلموا في جهة الصدور، وأنها لبيان الواقع أو غيره، وأيضًا تكلموا في متنه، والمعنى الظاهر من لفظه، وفي إرادة هذا الظهور، وفي الدليل على اعتباره ووجوب العمل به.. أما نحن فينحصر كلامنا في أصل الصدور، وبالأصح في ذكر شروط السند التي تسوّغ نسبة الخبر إلى صاحب السنة في حال عدم العلم والقطع بصدوره عنه، وبديهة أن أهم شيء في الحديث هو الإسناد، لأنه كالأساس للبناء.

الشروط:

اتفق الامامية - إلا من شذّ على أن السنة تثبت برواية الراوي، ثم اختلفوا فيما بينهم، فقال بعضهم: إن كل خبر يحصل منه الظن بالحكم الشرعي، أو بحجية الخبر فهو حجة متبعة، سواء أكان الراوي ثقة، أم غير ثقة، واستدل هؤلاء «بأنا نعلم بوجوب الرجوع إلى السنة والعمل بها تمامًا كما يجب الرجوع إلى القرآن الكريم، فإن أحرزنا السنة بالعلم فذاك، وإلا فلا بد من

الرجوع إلى الظن لتعيينها، ومعنى هذا أن علينا أن نطيع أوامر الله بطريق العلم، فإن تعذر العلم وانسد بابه وجب الامتثال بأقرب الطرق إلى العلم، وليس من أن أقرب الطرق اليه الظن.. وهذا في حقيقته عمل بالظن لا بالخبر الواحد، والعمل به عمل بلا دليل، بل قام الدليل على تحريم العمل بالظن، لان مجرد الشك في حجية الشيء، أي شيء، دليل على عدم حجيته، هذا، إلى نص القرآن الكريم على أن الظن لا يغنى عن الحق شيئًا.

و مهما يكن، فقد استثنى علماء الامامية من تحريم العمل بالظن موارد قام الدليل القطعي عندهم على اعتبارها، وأنها تمامًا كالعلم، منها الظن الحاصل من الخبر الواحد إذا كان راويه مسلمًا عاقلا بالغًا موثوقًا ضابطًا.

اشترطوا الإسلام في الراوي، مع أن غير المسلم قد يكون صادقًا في النقل، وربما أصدق من بعض المسلمين، واشترطوا الإسلام تعظيمًا لنبوة محمد والإيمان بها، وبديهة أن المجنون لا يعتمد عليه في شيء، والصبى ملحق به، واشترطوا الوثوق والأمانة في النقل للاحتراز من الكذب، أما الضبط فلأن المغفل قد يزيد أو ينقص، ويغير ويبدل فيما يسمع.

القوى والضعيف:

يعتقد كل من السنة والشيعة أن في أحاديثهم القوى

والضعيف، والصحيح والسقيم، ومن هنا وضعوا علم الرجال، وألفوا فيه العشرات من الكتب للغربلة والتصفية، قال المحقق القمي في الجزء الثاني من كتاب القوانين ص ٢٢٢ طبعة سنة ١٣١٩ هجرية: «إن دعوى قطعية أخبارنا - أي العلم بصحتها جميعًا - من أغرب الدعاوى... مع أن في الأخبار الموجودة في كتبنا ما يدل على أن الكذابة والقالة قد لعبت أيديهم بكتب أصحابنا، وأنهم كانوا يدسون فيها».

و روى الشيخ الانصاري في كتاب «الرسائل» الذي هو عمدة التدريس في النجف أن الامام الصادق قال: «إنا أهل بيت صديقون لانخلو من كذاب يكذب علينا. إن الناس أولعوا بالكذب علينا، كأن الله افترضه عليهم، ولا يريد منهم غيره.. إن لكل منا من يكذب عليه».

و نقل صاحب سفينة البحار في الجزء الأول مادة «حدث» أن بعض أهل البصرة جمع الأحاديث الموضوعة، وعرضها على الإمام الصادق.

و في إحدى خطب نهج البلاغة ذكر الامام رواة الحديث، وفي طليعتهم «المنافق الذي لايتأثم ولا يتحرج من الكذب على رسول الله متعمدًا».

و أفضل كتب الحديث عند الامامية كتاب «الكافي» للكليني، ومع هذا ضعّف علماؤهم الكثير من أحاديثه، وأحصى

بعض الفضلاء الأحاديث التي ضعفها ووهنها العلامة المجلسى في شرحه للكافي فبلغت الألوف.

و الآن، وأنا أكتب هذه الكلمات تركت القلم، ورجعت إلى أصول الكافي وعددت ثلاثين حديثًا من أوله، فوجدت منها ثلاثة عشر حديثًا ضعيفًا، وثمانية أحاديث مرسلة، وحديثين راويهما مجهول، والسبعة الباقية من الثلاثين بين صحيح وموثق بشهادة الشارح المتتبع العلامة المجلسي الذي وصف الكافي بأنه «أضبط الأصول وأجمعها، وأحسن المؤلفات وأعظمها عند الامامية».

فهل بعد هذا يقال: إن لدى الإمامية صحاحًا في الحديث، أو صحيحًا واحدًا من أوله إلى آخره؟

و لو صدق هذا القيل لكان احتجاج مجتهد على مجتهد إمامي بحديث من الكافي تمامًا كالاحتجاج بآية من آي الذكر الحكيم، مع أن لكل مجتهد إمامي أن يرفض أي حديث لايرتضيه في الكافي وغيره، ويأخذ بحديث موجود في البخاري أو مسلم، ولا يحق لاحد أن يحتج عليه من وجهة دينية أو مذهبية.

من هو الثقة عند السنة؟

ذكرت في كتاب «الشيعة والتشيع» ما يلى:

سألني أحد الاخوان: أصحيح أن السنة يشترطون في الراوي أن لا يكون فيه رائحة التشيع؟ وهل وجدت في كتبهم مصدرًا لهذا القول؟

قلت له: هذا قول المتعصبين منهم، وليس مبدأ عامًا عند علمائهم، فقد نقل الغزالي عن الشافعي، في كتاب المستصفى أنه قال: «تقبل شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية من الرافضة، لأنهم يرون الشهادة بالزور لمن وافقهم بالمذهب».

و قال الخضري في كتاب أصول الفقه: «أما المبتدعون ببدع غير مكفرة فأكثرهم - أي أكثر علماء السنة - على القول بقبول رواياتهم، وهو المعقول ما داموا لايدينون بالكذب، ولا نظن هذا معتقدًا لأي طائفة من المسلمين، وإن نسب إلى الخطابية أنهم يدينون بالشهادة لمن يوافقهم في الاعتقاد».

و روى أصحاب الصحاح الستة عن رجال من الشيعة، كابان بن تغلب، وجابر الجعفي، ومحمد بن حازم، وعبيدالله بن موسى، وغيرهم.

من هو الثقة عند الإمامية؟

و الذي جرى بين علماء السنة جرى أيضًا بين علماء الامامية، حيث اشترط البعض أن يكون الراوي إماميًا، وذهب المحققون منهم إلى الاكتفاء بمجرد الوثوق بصدق الراوي، إماميًا كان وغير إمامي، من هؤلاء العلامة الحلي في كتاب «الخلاصة» ومنهم صاحب القوانين، قال في الجزء الأول ما نصه بالحرف: الأظهر قبول أخبار غير الموثقين منهم - أي غير الاثنى عشرية - فإن

التثبت يحصل بتفحص حال الرجل في خبره، فإذا حصل التثبت في حاله، وظهر أنه لا يكذب في خبره فهذا تثبت».

و قال السيد الزوينى في حاشيته على الجزء الثاني ومن القوانين: «إن المعتبر تحصيل ما يوجب الوثوق بصدق الرواية».

و جاء في كتاب «تنقيح المقال» ج ١ ص ٢٠٦: «ورد النص عن الإمام أن نأخذ برواية من خالفنا دون ما رآه، وقد لزمنا بذلك العمل بالخبر الموثوق الذي هو في اصطلاح العلماء من كان ثقة غير إمامي».

و قال الشيخ الانصاري في «الرسائل» عند كلامه في الخبر الواحد: ان الإمام الصادق قال: «خذوا ما رووا، وذروا ما رأوا» ثم قال الإنصارى: «والأخبار متواترة بالأخذ بخبر الثقة والمأمون».

وقال السيد محمد تقي الحكيم في «الأصول العامة» ص ٢١٩ طبعة أولى: «اعتبر الشيعة الأمامية أخبار مخالفيهم في العقيدة حجة إذا ثبت أنهم من الثقات، وأسموا أخبارهم بالموثقات، وهي في الحجية كسائر الأخبار، وقد طفحت بذلك جل كتب الدراية لديهم».

و بهذا يتبين معنى أن علماء السنة والشيعة متفقون على أن مقياس العمل بالحديث هو الثقة بصدق الراوي، وأمانته في النقل، سنيًا كان أو شيعيًا تمامًا كالحكمة يأخذها المؤمن أنى وجدها.

السيرة النبوية
في الإطار الحضاري

• الجيل الإسلامي الأول وضع نصب عينيه أهدافا كبرى بينما خلت حياة المسلمين اليوم من المقاصد الكبيرة • المقصد الأول للإسلام هو «الإحياء» • تفعيل السيرة النبوية في حياتنا يجب أن نفهمه في إطار «إحيائي» • استفحلت اليوم «الأغلال» القومية والطائفية والفئوية بين المسلمين • السنّة النبوية أعارت أهمية بالغة لكرامة الإنسان وعزّته • لا يمكن لمشروع التقريب أن يحقق أهدافه في جوّ يسوده الإذلال.

إن سيرة الرسول فيها من دروس الوحدة وتقريب القلوب ما يستطيع – لو أنزلناه الى ساحة العمل – أن يجعل منّا أمة واحدة تتعالى على الصغائر وتسمو الى الأهداف والمقاصد الإسلاميّة الكبرى.

كنت في أحد مواسم الحج في مكة المكرمة حيث أقيمت ندوة الحج الكبرى تحت عنوان "التيسير في فريضة الحج" وكان المتحدثون مجمعين على أن التيسير أصل فقهي تقوم عليه شعائر الدين بأجمعها بما في ذلك مناسك الحج مستندين في ذلك الى ما كرّره رسول الله(ص) مرارًا في حجّة الوداع: "افعل ولا حرج".

ثم كان المجتمعون يعرضون صورًا من حج الصحابة والتابعين

وما كانوا يلتزمون به من منهج التيسير، الى جانب ذلك عرضوا صور ما آل حج المسلمين اليوم من تزاحم وتدافع وهجوم على الجمرات وعلى استلام الحجر، والحوادث المؤلمة التي تنتج عن ذلك، كما عرضوا للفتاوى التي تعسّر الحج ولا تيسّره، وتزيد من التدافع والزحام ولا تفضّه.

وكان لي في إحدى الجلسات سؤال قال عنه بعض الإخوة الحاضرين إنه يلخّص كلّ مشاكلنا الراهنة.

سألت: ما السبب في تحول منهج التيسير عند الصحابة الى منهج تعسير وتشديد عندنا؟ ألا يعود ذلك الى عامل حضاري هو أن الجيل الإسلامي الأول كان قد وضع أمامه رسول الله(ص) أهدافًا كبرى ومقاصد عليا، وكان همه الأول هو تحقيق رضا الله سبحانه عن طريق تحقيق تلك الأهداف والمقاصد، بينما حياة المسلمين الراهنة قد خلت من تلك الأهداف والمقاصد الكبيرة، فرحنا نبتغي رضا الله سبحانه في تكريس الذهن والفكر والفقه على مسائل الطهارات والنجاسات وطريقة تحريك الأصبع في الصلاة وموعد رمي الجمرات؟!

كان ذلك السؤال سببًا لقرار صدر في البيان النهائي بشأن ضرورة دراسة الحج في الإطار الحضاري. وقد يكون ذلك عنوان الندوة القادمة.

هذه الحقيقة.. حقيقة ضرورة دراسة السيرة النبوية المباركة ضمن إطار المشروع الحضاري الإسلامي وددت أن أطرحها في هذا

المؤتمر الموقّر عسى أن تتبلور في إطار قرار ومشروع عمل يتواصل بعد هذا المؤتمر بإذن الله تعالى.

لكي أوضّح ما ذكرت أشير الى أن مقصد الإسلام الأوّل هو "الإحياء": ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ والتأكيد على ذكر الرسول بعد الله في الآية هو تأكيد على المنهج الإحيائي في سنة رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام.

والحياة يستتبعها نموّ وحركة تكامليّة.. وهكذا كان الجيل الإسلامي الأول.. فتحرك في جميع مجالات حياته أفقيًا ليمتدّ على ظهر المعمورة وعموديًا ليفكّر ويبدع وينتج.. وعظمة هذه الحركة نستطيع أن نفهمها أكثر حين نقارن بين حياة العرب قبل الإسلام حيث لا تطوير ولا تقدّم ولا حركة تكاملية، وإنّما حياة تكرارية تراوح في مكانها، وبين حياة العرب بعد الإسلام.

وهذه الحركة التكاملية أدّت الى نشوء حضارة يعترف بها كل العالم من حيث عظمتها ومن حيث تميّزها الإنساني.

من هنا فإن تفعيل سنة رسول الله(ص) في مجتمعنا ينبغي أن نفهمه على أساس إحيائي.. الإحيائيون وحدهم هم المتمسّكون بالسنّة النبوية، أما الذين يشغلون الناس بخلافات هامشية وجانبية باسم السنّة النبوية فماهم باحيائيين ، ولا منهجهم من منهاج السنّة النبويّة الشريفة.

ولإن ذكرت سؤالي في ندوة الحج الكبرى، فلأذكرنّ أيضًا

حديثًا مقتضبًا أدليت به في إحدى الجلسات المسائية التي عقدها القائمون على الندوة في منى. طلب منى الإخوان في المجلس مشكورين أن أتحدث عن الأخوّة الإسلامية، فخطر أول ما خطر في ذهني قوله سبحانه وتعالى: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلّ إخوانًا على سرر متقابلين﴾.

الآية الكريمة تتحدث عن أهل الجنّة طبعًا، ولكن فيها إشارة هامة الى أنّ الأخوّة تتحقّق في ظل "نزع الأغلال من الصدور"، وهذه الحقيقة لها مصاديقها في هذه الدنيا أيضًا.

ومهمّة رسول الله(ص) الاولى هي أنه ﴿يضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ والاغلال هي القيود التي تعيق حركة الإنسان والمجموعة البشرية على طريق كمالها وحياتها. الأغلال تحوّل الحياة الى موت والحركة الى سكون، والتطوير الى تكرار، والسير الى مراوحة في المكان.

الأغلال تنطلق من طبيعة الطين التي خُلق منها الإنسان، وإن طغت فإنها تصادر "نفخة روح رب العالمين" في هذا الموجود المكرّم.

والأغلال القائمة في حياة البشرية أنواع بحسب ظروفها التاريخية والمعيشية. واليوم نرى الأغلال القوميّة والأغلال الطائفية والأغلال الحزبيّة والأغلال العشائرية و.. أنواع الاغلال الأخرى استفحلت في حياتنا وكلها أغلال الذاتية والأنانية لتمزّق أمتنا ولتجعلها عرضة للناهب وقصعة للآكل.

ولا يخفى ما كان للنهج النبوي من موقف صارم تجاه هذه الأغلال، فقد كان يقف يقوّة أمام أي إطار قَبَلي يريد أن يعيد عصبيات النزاعات الجاهلية، ويردّ بقوّة على أي تعصّب قومي أو اثني.

ومن محاور النهج الحضاري في السيرة النبوية الانفتاح على الآخر، فقد أقرّت السيرة كلّما كان صالحاً وطيبًا عند العرب الجاهليين، ولم ترفض كلّ ما عندهم، وهذا النهج سرى الى سيرة الصحابة والتابعين في تعاملهم مع الشعوب الأخرى التي دخلت الإسلام.

ومن هذه المحاور أيضًا الحثّ على التعلّم والتعليم والتفكير والعمل والإنتاج والاكتفاء الذاتي.

ومن هذه المحاور ولعلّه أهمّها غرس الشعور بالعزّة والكرامة في نفس الإنسان المسلم ونفوس الجماعة المسلمة، وأودّ أن أقف عند هذه النقطة لاعتقادي أنها أصل أصول الدين، وأنها مغيّبة الى حدّ كبير في حياة المسلمين ومستهدفة الى حدّ كبير من قبل أعدائهم المتربّصين.

لا يخفى ما أعارته السنة النبوية من أهمية لكرامة الإنسان وحرمته وعزّته، فقد تظافرت نصوص الحديث والسيرة بشأن كرامة الجنين والطفل والشاب والشيخ والميّت، وبشأن تفويض الأمور للإنسان كلّها إلاّ أن يكون ذليلاً، وبشأن النهي عن

ممارسة كل عمل يحطّ من كرامة الإنسان ويوهنه حتى ولو كان من الواجبات، وبشأن وجوب ممارسة كل عمل يعزّ الإسلام والمسلمين، والإعراض عن كل عمل من شأنه أن يوهن الإسلام ويوهن من سمعة المسلمين.

وعلى هذا النهج سار الصحابة والتابعون وأئمة أهل البيت، فقدمّوا كل غال ونفيس من أجل الحفاظ على كرامة المسلمين وصيانة روح العزّة في المجتمع الإسلامي، حتى أصبح شعار "هيهات منّا الذلة" يلخّص هدف ثورة الحسين والثوار الرساليين على مرّ التاريخ الى يومنا هذا.

وهذا التركيز الكبير على عزّة الإنسان وكرامته يرتبط بالإحياء، فالإنسان العزيز حيّ، والذليل ميّت. المسألة حضارية إذن ترتبط بحركة الإنسان التكاملية.

ولو أردنا تفسير ذلك على ضوء النظرة الإسلامية للإنسان، فإن العزّة في الإنسان تعني حركته نحو العزيز المطلق وهو الله سبحانه وتعالى، والذلة هي نكوصه عن هذه الحركة. والإنسان في النظرة الإسلامية خلق لأن يتحرك نحو مثله الأعلى المطلق سبحانه.

ولان العزّة حياة، فالمجتمع الذي يستشعر العزّة تترابط أجزاؤه برباط عضوي حتى إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى، أما المجتمع الذليل فمفكّك متشرذم،

والتفكك والتشرذم يؤدي الى النزاع والصراع حتمًا، لعدم وجود الوحدة العضوية في ذلك المجتمع الذي تحسبه واحدًا وقلوب أفراده شتّى.

من هنا نفهم أن مشروع التقريب بين المذاهب أو القوميات أو الشعوب لا يمكن أن يحقّق نجاحًا في جوّ يسوده الإذلال، لابد من سيادة روح العزّة في نفوس أبنائه. ومن نظرة واحدة على وصيّة الإمام الخميني فقط يتبين لنا مدى اهتمام هذا القائد الراحل بمحور عزّة الأمة.

وقد لانجانب الصواب إذا قلنا إنّ ما يجري اليوم في العراق من تمترس طائفي إنّما هو إفراز لسنوات طويلة من الإذلال فرضت على الشعب العراقي سنة وشيعة بل حتى على أعضاء حزب البعث العراقي، بل حتى على المقربين من رئيس النظام العراقي السابق لسنوات طويلة، والإذلال قد نجد له تاريخًا أطول في العراق يعود الى العصر العثماني.

وهنا ألقي الضوء قليلاً على محاولات إذلال الأمة الإسلامية في عصرنا الراهن. لقد شعرت الأمة الإسلامية بحالة الذلّ والهوان منذ قرون عديدة نتيجة طغيان الاجهزة الحاكمة فيه، ونتيجة الهجمات المتوالية التي تعرضت لها من الغُزّ والمغول والصليبيين، لكن الإذلال الأكبر حدث حين سقط العالم الإسلامي أمام الغزو الغربي، فتجاه هذا الغزو حدثت هزيمة عسكرية وداخلية. وجاء

مشروع إقامة دولة الصهاينة في قلب الإسلامي لتكريس هذا الإذلال، وعمليات الإذلال مستمرّة الى يومنا هذا.

إحدى صور الإذلال تفويت الفرص وتحويلها الى تحديات. أية فرصة تتاح للعالم الإسلامي يستعيد فيها عزّته تُصادر بسرعة، والوتر الطائفي من أشهر عمليات المصادرة هذه. وليست تجربة الثورة الإسلامية في إيران عنّا ببعيدة، فانتصارها بعثّ موجة من العزّة كادت أن تعيد الأمة الى حياة جديدة، لكنها حوصرت وفرضت عليها حربًا ضروسًا تحت عنوان محاربة "الفرس المجوس"، وفي أفغانستان توفّرت ظروف هائلة لاستعادة العزّة بعد انتصار الفصائل الإسلامية على ثاني قوة كبرى في العالم وهي الاتحاد السوفيتي السابق، لكنهم حوّلوا هذا الانتصار الى مأساة كبرى في هذا البلد المغلوب على أمره. وفي العراق توفّرت ظروف لأن يتولى الأمور فتية آمنوا بربهم تربّوا في مدرسة الشهيد الصدر، وقدّموا قوافل الشهداء من أجل عزّة أمتهم، لكنهم واجهوا حربًا مدمّرة لاتزال مستمرة تحت عنوان محاربة "الصفويين". وفي لبنان سجلت المقاومة الإسلامية واحدًا من أروع الانتصارات في تاريخ المسلمين على أعتى عدوّ، لكنّ هذا الانتصار الذي اعترف به الصهاينة تنكّر له من تنكّر وحولوه الى مواجهة طائفية أيضًا.

وإحدى صور الإذلال ما يعرض على العالم الإسلامي في بعض الفضائيات الناطقة بالعربية وبغيرها من لغات العالم الإسلامي.

برامجها تتجه نحو تكريس الإذلال، عن طريق إضعاف المعنويات وتطبيع عملية الخضوع للعدوّ، وإبراز وجه العالم الإسلامي على أنه صراع دموي لا يهدأ ليل نهار باسم الدين، وعلى أنه ساحة للخرافات والشعوذة والتكفير ورفض الآخر باسم الدين أيضًا. وكل ذلك يكرّس حالة الإذلال.

من هنا فنحن بحاجة الى بلورة مشروع آخر ضمن مشروع دراسة السيرة النبوية في إطار حضاري، هو دراسة العزّة في السيرة النبويّة.

والدراسة في هذا المجال يمكن أن تعين العاملين في حقل التربية والتعليم والإعلام على نشر ثقافة العزّة، وكلّ منا بحاجة الى هذه الثقافة في التعامل مع زوجه وأبنائه وأصدقائه وطلابه ومراجعيه، وبمن يتعامل معه يوميًا.

وقضية العزة أساس حضاري هام وعامل إحيائي كبير، فطن الى أهميته الفكر الإنساني على مرّ التاريخ ابتداء من أفلاطون إلى فوكوياما. في عصرنا الراهن. وعسى أن يعيه المسلمون ويعتبروه بداية لابدّ منها للتقريب وللحياة وللاستئناف الحضاري.

الشخصية المحمدية

تحت ضوء المقررات النفسية الحديثة

محمد فريد وجدي*

• كان الرسول(ص) يمتاز بكل ما يجب أن يمتاز به كبار القادة • كان محمد(ص) في عهد الجاهلية على غير ما كان عليه الناس في أدب نفسه وسمّو فطرته • لم يكن محمد(ص) يلجأ إلى الغار هربا من فتنة العمران ولكنه كان ينشد الحقيقة • أقوال الرسول جاءت لتخلد خلود الحقائق العلمية • لم يظهر في تاريخ البشرية رجل حبّب العلم في النفوس كما فعل محمد(ص) • كل الحركة العلمية في تاريخ الإسلام كانت ببركة تعاليم الرسول.

أينما أجلت طرفك في تاريخ الجماعات البشرية، وفي الأفذاذ الذين أنجبتهم في خلال تاريخها الطويل، وأجلته في حوادثها وانقلاباتها، وفي الرجالات الذين تولوا كبرها، فلا تصادف من جمع ما جمعه محمد(ص) من صفات الكمال الخلقي والعقلي، ولا وُفق إلى مثل ما وفق إليه من بناء أمة وتحليتها بكل ما هي في حاجة إليه من عوامل البقاء، ودواعي الارتقاء، وأعدها لأن تصير أعظم أمة استحقت أن تنال خلافة الله في الأرض، ربما قال قائل

---

* -مدير مجلة الأزهر سابقًا، ومن كتّاب «رسالة الإسلام» القاهرية.

إن هـذا المـآل لم يكـن مقـدرًا لهـا وإنمـا بلغتـه هـي اتفاقًـا بسـبب توسـعها العلمـي والجغـرافي، كمـا بلغتـه أمـم قبلـها اسـتعدت لـه بفتوحاتها ومدنيتها. يـرد هـذه الشـبهة مـا ورد في الكتـاب الكـريم من قوله تعالى:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

فهـذه المهمـة الخطيـرة، مهمـة تـأليف أمـة مثاليـة، تتكـون علـى مقتضى الأصول الاجتماعيـة القوميـة، والمبـادئ الادبيـة الكـريمـة، وتُحـدث في العـالم مـا أحدثـه المسـلمون ... هـذه المهمـة الخطيـرة مـا كـان اللّه ليعهـد بهـا إلا إلى رجـل منحـه شخصـية تـدرك قيمـة مـا يوحى إليه مـن أصـول العلـم وأسـرار الحكمـة.. رجـل يسـتطيع بقـوة ارادتـه، وحسـن قيادتـه، أن يجمـع بـين القلـوب المتنـافرة، والنفـوس المتنـاكرة.. رجـل وهـب مـن الـذكـاء، ومنـح مـن سـعة المـدارك، مـا يعـرف بـه مكـان اللـين والشـدة مـن النفـوس فيضـع كـلا منهـا موضعه ممن وكل إليه أمر جمعهم وقيـادتهم.. رجـل لا يشـتبه عليـه الحـق بالباطـل مهمـا كـان الفـارق ضـئيلا بينهمـا .. رجـل حاضـر البديهة، ثاقب البصيرة، يستطيع أن يدرك ما وراء المظاهر الخلابة مـن قـوى كامنـة فيتقيهـا، أو يسـتفيد منهـا علـى حسـب الاحـوال

الطارئة، والشؤون المفاجئة.

كان محمد (صلى الله عليه وسلم) مثلاً أعلى في جميع هذه الصفات التي يمتاز بها كبار القادة، وأفذاذ العباقرة، ناهيك أنه استطاع أن يؤدي الرسالة العامة التي عهد إليه بها على أكمل ما يمكن أن يكون من نجاح وبعد أثر.

كان محمد في عهد الجاهلية على غير ما كان عليه الناس، في أدب نفسه، وسمو فطرته، فكان يشغله ما لا يشغل الناس من أمر الدين والدنيا: كان من أمر الدين حائرًا لا يثلج له صدر على ما ثلجت عليه صدور الملايين حوله، وكان من أمر الدنيا يرى أن الحياة على ما كان عليه الناس من التنازع والتناهب، ومضارعة الحيوان في سيرته، لا توصل إلى ما خلق له الإنسان من نيل الدرجات العلى علمًا وأدبًا ونظامًا، وتوفرًا على الخير، فكان ينقطع عن بيته وأهله إلى نفسه في غار في الجبل ليالي يقضيها مفكرًا متأملاً، لعله يجد مخرجًا مما كان يقضّ مضجعه، ويحرمه مما كان ينعم به سواه.

هذه الحاجة الملحة للوصول إلى الحقيقة، والوسيلة التي توسل بها اليها، دلت دلالة قاطعة على أنه كان يائسًا من التهدي إليها بواسطة واحد من الذين تقع عينه عليهم، فكأنه عرض على عقله ما كانوا عليه فلم ير أنه يبلغه الغاية مما كانت فطرته العالية ترتاح إليه من المعرفة، وهي نزعة لم يتأثر بها غيره من اهل

عصره، وطريق للبحث عن الحقيقة لم يسلكه أحد قبله في البيئة التي كان فيها.

نعم كان رجال ينتبذون نواحي من الأرض يقضون فيها أعمارهم بعيدين عن مثار الفتن، في صوامع لا يبرحونها مدى حياتهم، يمارسون فيها الدين الذي ورثوه عن آبائهم، ولكن محمدًا لم يكن من هذا القبيل، فلم يلجأ إلى الغار هربًا من فتنة العمران، ولا ليؤدي شعائر دين موروث، ولكنه كان ينشد الحقيقة التي يثلج عليها صدره، فقد قضى عليه سمو عقله ان لا يرتضي دينًا من الاديان التي يرى الناس عليها في زمنه. فان تعجب ان يحدث ذلك لرجل ولد وتربى وكبر في عهد الجاهلية، وفي منأى عن ينابيع العلم والحكمة، فاعجب منه أنه هدي إلى طلبته وانكشف له من عالم الروح ما لم يكن يتوقعه، حتى خشي أن يكون قد قُصد من الكائنات السفلية بسوء، بسبب ما كان يوجد فيه من الظلام والوحدة.

لا جرم أننا هنا بسبيل نفس من النفوس التي لا يسمح لها بالنبوغ الا في أدوار الانتقالات الاجتماعية، وهذا لا يكون الا في كل عدة أجيال مرة، وهي تمنح من المواهب النفسية ما يجعل الفارق بينها وبين أعقل المعاصرين، كالفارق بين الرجل المستكمل قواه العقلية وبين الأطفال الذين تستهويهم الشؤون الصبيانية. فما ظنك بالرسول الذي أعد ليكون خاتمًا للرسل،

ويكلف تربية الأمة التي أراد قيّم الوجود أن تحدث أكبر انتقال عالمي بين الجماعات البشرية.

هذا أمر لا يحتمل المماراة، فلم يبق علينا إلا بيان إلى أي مدى بلغ محمد (ص) من الميزات النفسية، والمنح العقلية، وعلى أي ضرب من السياسات التعليمي اعتمد، ليصل بأمة جاهلية في مدى ربع قرن إلى ارفع ما يمكن أن تبلغه امة من آداب النفس، وسمو النظر وشرف المقصد، وبعد الغاية، حتى بلغت أقصى ما ترمي إليه أمة من الحضارة والعلم والسلطان، في مدة لم توفق إلى مثلها امة أخرى.

تأمل في قوله (ص): «كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه يهودانه أن ينصرانه أو يمجسانه» قال ذلك تفسيرًا لقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فانظر كيف فسر هذا الحديث المبين لجوهر الإسلام وحقيقته، تفسيرًا لا يستطيع أعرف الناس بما طرأ على الأديان، وأعلمهم بما يجب ان يكون عليه الدين الخالص من شوائب التحريف، أن يزيد عليه حرفًا واحدًا.

ووجه إكبارنا لهذا التفسير أن قائله يجب أن يكون عالمًا بأن الخالق جل شأنه خلق الانواع الحية، وألهم كل نوع منها ما به حياته وكماله، وخلق الإنسان وهو أكرمها عليه، وفطره من الصفات والميول على ما به بقاؤه وارتقاؤه، ووصوله إلى الغايات

البعيدة، ومن هذه الميول إخباته لخالق الكون، وتحرى محابه ومكارهه، ليصل إلى ما يشعر به من سعادة الاتصال به، والليلاذ بجنابه، إخباتًا خالصًا من الإشراك والتجسيد، منزهًا عن التأويل والتحديد.

وقوله (ص): وإنما ابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، يشعر بأن الدين الحق لا يلقن تلقينا، وإنما يشعر به شعورًا، فان كان لابد من تلقين فهو ما كان النبي (ص) يدعو إليه من ان الدين هو الفطرة الخالصة من الشوائب، وأنها هي الإسلام، إلى الاستسلام إلى أرادة الله، والتخلق بكل ما يثبت انه خليق بالإنسان من الصفات الحميدة، والحالات الشريفة.

فهذا الإدراك لمعنى الدين ليس من نوع ما كانت تحوم أرقى العقول البشرية حوله في بلاد العرب، ولا في أية بقعة من بقاع الأرض، ولم يجئ مقيسًا على عقلية الناس الذين عاصروا صدوره، ولا على عقلية الذين سيخلفونهم بعد قرن أو عدة قرون، ثم يزول، ولكن جاء مطلقًا ليخلد خلود الحقائق العلمية، ويؤتي ثمرته للأجيال الخالفة أضعاف أضعاف ما آتاه للذين جاء على عهدهم، فهو حجة الإسلام الخالدة، ووصفه المميز، ودليله القاطع على أنه خاتمة الاديان، وأنه أقصى ما يبلغه العقل من عرفان مصدره، وعوامل شيوعه.

* * *

منزلة العلم في الإسلام

ذكرنا ما شرح به النبي (ص) آية الفطرة الدينية، وبينا الآفاق العالية التي جال فيها فهمه القويم، في تحديد هذا المعنى الخطير الذي أصبح الأساس العلمي الركين للدين في الفلسفة الحديثة.

ولكن الأوهام المتغلبة كثيرًا ما تشتبه بالشعورات الفطرية، وتجد لدى مروجيها ما تستند إليه من الأهواء الموروثة، فما الذي يفرق بين ما هو هوى موروث، وما هو ميل فطري في النفس كسائر ميولها الفطرية؟ لا شئ غير العلم، العلم المستند إلى الحقائق الطبيعية، وهذا هو ما عمد إليه محمد (ص) فشرع يدعو إليه في ألوان من التعبير، وضروب من التحضيض، لم تؤثر عن غيره إلى عهده في العالم كله، فأما بلاد العرب فإن هذه الدعوة لم تؤثر فيها عن أحد غيره، وكانت غريبة لدى قوم ظلت الأمية صفة مميزة لهم قرونًا كثيرة، وأما في أوروبا حيث نشأت الفلسفة اليونانية، والمدنية الرومانية، فإن التعصب للدين في ذلك العهد كان آخذًا بمخنقها إلى حد عادى معه أهلها العلم، واعتبروا المشتغل به والداعي إليه زنديقاً، وبقيت هذه الحالة قائمة إلى نحو القرن الخامس عشر الميلادي، وما زالت تشتد حتى كانوا يحرقون المشتغلين بالعلم، ويمثلون بأجسادهم وقد أحصى متأخرو المؤرخين ضحاياه فبلغوا اكثر من ثلاثمائة ألف في نحو ثلاثة قرون!.

فهذه الصيحة بالعلم كانت لا تجد لها صدى إلا لدى أتباع محمد(ص) في بلاد العرب، التي كانت لا تمت إلى مصادر العلم بسبب، وقد أثمرت ثمرتها.

قال العلامة (دريبر) المدرس بجامعة (هارفارد) بالولايات المتحدة الامريكية في كتابه: «المنازعة بين العلم والدين»:

" إن اشتغال المسلمين بالعلم يتصل بأول عهدهم باحتلال الاسكندرية سنة ٦٣٨ أي بعد وفاة محمد بست سنين، ولم يمض عليهم بعد ذلك قرنان حتى استأنسوا بجميع الكتب العلمية اليونانية، وقدروها قدرها الصحيح، الخ ". وأنت خبير أن المسلمين انتهت إليهم بعد ذينك القرنين زعامة العلم وفي العالم كله، وكانت مدنهم في آسيا وأوروبا مثابة للأمم كافة يقصدها مريدو الاستفادة من سائر بلاد العالم، فيشركونهم فيما حصلوا عليه من أنوار المعارف، ليخرجوا بلادهم الأوروبية من ظلمات الجهل، وقد شهد علماء أوروبا وفلاسفتها أن بلادهم مَدينةٌ للمسلمين بعلومها وفلسفاتها وصنائعها، وهي شهادة تؤيدها الأسانيد التاريخية، والكتب المترجمة عن العربية التي لا تزال ماثلة في مكاتباتهم، والتي لا يزال بعضها يدرس في جامعاتهم إلى اليوم.

ليس غرضنا هنا أن نبين مدى تأثير العلوم التي أقام دولتها المسلمون في مدنية أوروبا، وإنما مقصدنا أن نجلي الفطرة العلوية للشخصية المحمدية التي اصطفاها قيم الوجود للقيام بخاتمة الأديان الإلهية.

إني أستطيع ان أؤكد – وعهدة هذا التأكيد عليَّ – **أن العلم لم يجد داعيًا إليه، ومحببًا فيه، في جميع بلاد العالم من أول عهد الناس به إلى يومنا هذا مثل ما وجده في محمد (ص). ذلك لأنه أدرك لسمو فطرته، أن العاطفة الدينية المجردة في العلم، قد تستجيب لباطل مموّه، وقد تصبو لهوى مزخرف، وقد يدعوها حب البحث إلى الخوض في الشؤون العلوية، فتتردى في مهاوي الضلالات وتجمد عليها**، وأنت خبير أن الأديان السابقة على الإسلام قد خرجت بتحريف الجاهلين عن صُرُطها القيمة، بل استحالت إلى وثنية بحتة، ويريد الحق أن يحفظ للإسلام طابعة الإلهي، ولا يتأتى ذلك إلا إذا أحيط بسياج من العلم، وتجلّى كل هذا على حقيقته لمحمد (ص) فكان باعثًا قويا له على الدعوة إليه، في ألوان شتى من البيان، فكان مما أثر عنه أنه قال: «أطلبوا العلم ولو بالصين، فإن طلبة فريضة على كل مسلم» وهذا أول تصريح لداعية ديني بأن يستنفد الإنسان وِسعَه لطلب العلم حتى لو كان لا سبيل إليه الا بالانتقال إلى أبعد بلاد العالم.

وانظر إلى قول محمد (ص): «ليس مني الا عالم أو متعلم»، وقوله: «كن عالمًا أو متعلمًا ولا تكن الثالثة فتهلك». تجده يجرد من الانتساب إلى الدين، الجاهلَ الذي رضى بجهله فجمد عليه، وينذر بالهلاك، من اكتفى بالدخول في الإسلام وأهمل أن يزداد علمًا.

ومن أعجب ما يؤثر عن النبي (ص)، وهو قول يدل على غاية لا تدرك من سمو الادراك، وعلى بعد في النظر ليس بعده مرمى، قوله: «من ظن أن للعلم غاية فقد بخسه حقّه، ووضعه في غير منزلته التي وضعه الله بها حيث يقول وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً». فلعمري إذا كان هذا القول حقًا، وهو حق لا مرية فيه، فهو ليس من مدارك أمة لقبت بالأمية، ولا من حظ بلاد ليس بها أثارة من علم، بل ليس من مألوفات الأمم كافة في عهد عرف قادته بمحاربة العلم، والحط من سمعته في سبيل ترويج مزاعمهم الدينية.

هذا ولم يغفل محمد (ص) وجهًا من وجوه الحث على الاستزادة من العلم إلا أتى به. من ذلك قوله: «ليس الحسد والملق من خلق المؤمن إلا في طلب العلم».

ولما خشى أن يطغى الميل إلى العبادة على الميل إلى العلم، صرح بأن طلب العلم من أجَلّ ضروب العبادة، وأكثرها ثوابًا، فقال: «مجالسة العلماء عبادة» وقال: «العلم أفضل من العبادة وملاك الدين الورع». وقال في رفع أقدار العلماء، والاشادة بكرامتهم: «بين العالم والعابد سبعون درجة». ومن هنا أخذ ابن عباس رضي الله عنه تفسيره لقوله تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ قوله إنها سبعون درجة، أي إن درجة العلماء أرفع من درجة المؤمنين غير العلماء سبعين ضعفًا. وقال (ص) ـ وهو

قـول لا يتذوقـه إلا مـن عـرف أثـر العلـم في بنـاء الأمـم وفي تقـويم أمورها .: «لموت عالم أيسر من موت قبيلة». أي أن المجتمع يُنكب من موت عالم أكثر مما ينكب من موت قبيلة، وهذه غاية لا تدرك في تعظيم شأن العلم.

فـلا غـرو بعـد كـل هـذا أن ينـدفع المسـلمون في طلـب العلـم اندفاعًا لم يؤثر عن أمة قبلهم، فحذقوا كل ما كان شائعًا منه بعد أن ترجموه إلى لغتهم، ولم يقفوا عند هذا الحد بل نقبوا عن مصـادره في المكتبـات الأجنبيـة فأخـذوا منهـا كـل مـا وجـدوه لليونايين والسريانيين وغيرهم وترجموه إلى لغتهم وتدارسوه بهمة لا تعرف الملل حتى اتقنوه وعملوا به وزادوا مادته ثروة، واكتشفوا علومًا جديدة سجلت لهم في صحائف الخلود. كان هذا كله بركة العبقرية المحمدية التي تجلت في شخصيته الكريمة تجليًا لم يحفظ مثله لرجل غير من الناس أجمعين.

إن أعداء الاسلام كانوا جادين دوما في إقامة الحواجز القومية والمذهبيّة بين المسلمين لإبعادهم عن توحّدهم ومن ثَمَّ للسيطرة على مقدّراتهم.

الامام السيد علي الخامنئي

معالم عملية
في السيرة النبوية

عبد المتعال الصعيدي *

• ويل لهؤلاء المسلمين الذين لا يهمهم إلا أنفسهم، يوم يتنبه المسلمون من غفلتهم ويعلمون من كان سببا في وقوع هذه المصائب بهم • الإسلام لا يستهدف من حربه مغانم أو ملكا ولذلك رفض معاهدة بني عامر • الفضل في نجاح بيعة أهل المدينة تفهّم الأوس والخزرج رسالة الإسلام من أول الأمر• نصر اللهُ رسولَه بالرعب وهو الخوف ليقل فيها سفك الدماء ويدخل الناس في الدين الجديد في أقل زمن • الإسلام لم ينتشر بالسيف بل بالحكمة والموعظة الحسنة • بقي ذلك الرعب لأمته ما بقوا متبعين هديه.

عرضت على النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) وهو بمكة معاهدتان: إحداهما من بني عامر، والثانية من الأوس والخزرج، الذين عرفوا بعد الإسلام باسم الأنصار فرفض النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) المعاهدة الأولى، وقبل المعاهدة الثانية، مع أن بني عامر كانوا أسبق إلى عرض معاهدتهم من الأوس والخزرج، ومع

* - الأستاذ بكلية اللغة العربية سابقًا، ومن كتّاب «رسالة الإسلام» القاهرية.

أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) كان في أشد حاجة إلى من يعاهده ليحميه من أعدائه.

وبيان السر في هذا من أسرار السيرة النبوية المملوءة بنفائس الأسرار، المفعمة بدقائق الحكم، وفي معرفتها هدايتنا فيما يحيط بنا من حوالك الخطوب، ومما نزل بنا من المصائب، ولكن المسلمين ابتلوا بمن لا يبصرهم هذه الأسرار، ولا يهمه من دنياه إلا الجاه والمنصب، فإذا ظفر بها كان شرًا على المسلمين من أعدائهم، وويل لهؤلاء الذين لا يهمهم إلا أنفسهم، يوم يتنبه المسلمون من غفلتهم ويعلمون من كانوا سببًا في وقوع هذه المصائب بهم.

لقد عرض النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) نفسه في موسم من مواسم الحج على القبائل فأعجب به رجل من بني عامر يقال له (بيجرة بن فراس) بهره ما رآه من فصاحته، وما شاهده من قوة جنانه ورباطة جأشه، فقال: والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، ثم قال للنبي (صلى الله عليه وآله وسلّم): أرأيت إن نحن تابعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر بعدك؟

فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم): «الأمر بيد الله يضعه حيث يشاء» فقال بيجرة: أفنهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا! لا حاجة لنا بأمرك.

ولو تمت هذه المعاهدة لكانت معاهدة هجومية، يراد منها شنّ حرب على العرب لأكل الأموال، والاستيلاء على الغنائم، وإقامة ملك عليهم لبني عامر، يتولاه بيجرة بن فراس أو غيره من رؤسائهم، والإسلام لا يريد مثل هذه الحروب، وإنما يريد أن يدعو الناس بالتي هي أحسن، فلا يلجأ إلى الحرب إلا إذا كانت دفاعية لا هجومية، وكذلك لا يريد الإسلام من دعوته أكل أموال الناس، ولا يريد الاستيلاء على المغانم، ولا يريد إقامة ملك لقومه أو لغيرهم من قبائل العرب، وإنما تأتي المغانم فيه عرضًا في حرب من الحروب المشروعة، فتكون تعويضًا عما خسره فيها من النفوس والأموال، أو تأديبًا لمن اعتدى بها عليه من غير حق، ليكف عنها في المستقبل، ولا يعود بعدها إلى الاعتداء، وكذلك يأتي الملك والسلطان فيه عرضًا، لأنه لابد لكل جماعة من سلطان يدبر أمورهم، ويسعى في مصالحهم،ويمنع قويهم من ضعيفهم، ويضرب على أيدي المفسدين فيهم، ولا ينافي هذا ما أتى في القرآن من وعد الله للمسلمين أن يمكّن لهم في الأرض، وأن يستخلفهم فيها على غيرهم، لأن هذا الوعد لا يتعدى أن يكون جزاء لهم على صلاح حالهم بالإسلام، وهذه سنة الله تعالى في المسلمين وغيرهم، كما قال تعالى في الآية ـ ١٠٥ ـ من سورة الأنبياء: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ أي الصالحون لعمارتها بعدلهم واستقامتهم،

وبإيمانهم وطاعتهم لربهم، فلم يكن هذا الجزاء مقصودًا بهم من أول الأمر، وإنما كانوا مخلصين لربهم في جهادهم، فجازاهم بذلك في دنياهم على إخلاصهم.

ثم كان بعد رفض تلك المعاهدة، أن قدم إلى مكة إياس بن معاذ، وأنس ابن رافع مع جماعة من الأوس، ليحالفوا قريشًا على الخزرج، وكانت قد قامت بينهما حروب، آخرها يوم بعاث، وقد قتل فيه غالب رؤساء الفريقين، ولم يبق من الخزرج إلا عبد الله بن أبي، ولم يبق من الأوس إلا أبو عامر الراهب، فأفنت هذه الحروب رؤساءهم، وألانت نفوسهم، وقربت بينها وبين الدعوة السلمية التي يقوم بها الإسلام، فلما جاء هذا الوفد مكة، جاءهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) وقال: هل لكم في خير مما جئتم له: أن تؤمنوا بالله وحده ولا تشركوا به شيئًا، وقد أرسلني الله إلى الكافة. ثم تلا عليهم شيئًا من القرآن، فقال إياس ابن معاذ: يا قوم، هذا والله خير مما جئنا له، فحصبه أنس بن رائع، وقال له: دعنا منك، لقد جئنا لغير هذا. فسكت إياس.

فلما جاء الموسم تعرض النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) لنفر منهم، كلهم من الخزرج، وهم أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث، ورافع بن مالك، وقطبة بن عامر، وعقبة بن عامر، وجابر بن عبد الله، فدعاهم إلى الإسلام، وإلى معاونته في رسالته، فقال بعضهم لبعض: إنه للنبي الذي كانت تعدكم به

يهود، فلا يسبقوكم إليه، فآمنوا به جميعًا، وقالوا له: إنا تركنا قومنا بينهم من العداوة ما بينهم، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك. ثم وعدوه أن يلقوه في الموسم المقبل.

فلما كان الموسم المقبل، قدم منهم اثنا عشر رجلاً: عشرة من الخزرج، واثنان من الأوس، فاجتمعوا بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) وبايعوه بيعة دينية: ألا يشركوا بالله شيئًا، ولا يسرقوا، ولا يزنوا، ولا يقتلوا أولادهم، ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم، ولا يعصوه في معروف، فإن وفوا فلهم الجنة، وإن غشوا من ذلك شيئًا فأمرهم إلى الله عز وجل، إن شاء غفر، وإن شاء عذب، ثم أرسل معهم مصعب بن عمير وعبد الله بن أم مكتوم، يقرئانهم القرآن، ويفقهانهم في الدين، فانتشر الإسلام بهما بين الأوس والخزرج، حتى لم يكن بينهم حديث إلا أمر الإسلام، ثم ذهب إليه منهم في الموسم ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان، وكان النبي قد عزم على أن يعقد معهم معاهدة سياسية يهاجر بعدها إليهم، فاجتمعوا به سرًا... فقال البراء بن معرور: والله لو كان في أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه، ولكنا نريد الوفاء والصدق، وبذل مهجنا دون رسول الله. ثم قالوا جميعًا للنبي (صلى الله عليه وآله وسلّم): خذ لنفسك ولربك ما أحببت. فقال: أشترط لربي أن تعبدوه وحده، ولا تشركوا به شيئًا، ولنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم متى قدمت عليكم. فبايعوه

وبايعهم على ذلك، ثم هاجر إليهم بعد هذه المعاهدة السياسية.

والفضل في نجاح هذه المعاهدة لفهم الأوس والخزرج رسالة الإسلام من أول الأمر، فلم تلتبس عليهم كما التبست على بني عامر، فقد أدرك إياس بن معاذ في المرة الأولى أن المعاهدة مع الإسلام خير مما جاءوا له من مخالفة قريش على الخزرج، لأن مخالفتهم مع قريش تقضي باستمرار الحروب فيما بينهم، أما المعاهدة مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) فتؤلف بينهم، وتجعلهم إخوانًا في هذا الدين الجديد.

وكذلك فهموا في المرة الثانية رسالة الإسلام على أنها دعوة تأليف لا تفريق ورسالة سلام لا رسالة حرب ومغانم، وهذا حين قالوا للنبي (صلى الله عليه وآله وسلّم): إنا تركنا قومنا بينهم من العداوة ما بينهم، فإن يجمعهم الله عليك، فلا رجل أعز منك.

فلما جاء في المرة الأخيرة وقت عقد المعاهدة لم يقصدوا منها أن تكون تحالفًا على العرب لأكر أموالهم كما قصدت بنو عامر، ولم يقصدوا منها أن يكون لهم بها ملك على العرب أو غيرهم، وإنما قصدوها على أنها معاهدة دفاعية، يبذلون فيها مهجهم في الدفاع عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) الله عليه وسلم، فلا يعادون إلا من يعاديهم على الإسلام، ولا يحاربون إلا من يحاربهم لأجل أن يفتنهم عنه، كذلك قصدها النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) معاهدة دفاعية، فلم يشترط عليهم فيها إلا

أن يمنعوه حين يقدم عليهم مما يمنعون من نسائهم وأبنائهم.

ولكن قد يقال: إذا كانت هذه المعاهدة معاهدة دفاعية سلمية، فكيف أقر فيها قطع ما كان بين اليهود وعرب الأوس والخزرج من عهود؟.

والجواب أن هذه العهود كانت من آثار الحروب بين الأوس والخزرج، ولم تكن عهودًا سلمية يصح بقاؤها بعد هذه المعاهدة السلمية، فانه لما انقسم هؤلاء العرب على أنفسهم، وقامت هذه الحروب بينهم، حالف الأوس منهم بين قريظة من اليهود، وحالف الخزرج منهم بني النضير وبني قينقاع، فوجب بعد هذه المعاهدة السلمية أن تبطل هذه العهود الباغية، لتؤدي هذه المعاهدة رسالتها في التأليف بين الأوس والخزرج، ولا حروب دينية بينهم وبين اليهود، بل تجمع الأوس والخزرج رابطتهم الدينية الجديدة، وتجمعهم واليهود رابطتهم الوطنية القديمة، ويكون هناك تصاف بينهم جميعًا في ظل هاتين الرابطتين المقدستين.

* * *

تحقيق جديد
في نصر النبى بالرعب

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«أوتيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، فبينما أنا نائم أوتيت

بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي، قال أبو هريرة: وقد ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم تنتثلونها».

و قد روى البخاري هذا الحديث في كتاب الجهاد في باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم. «نصرت بالرعب» وروى فيه: «بعثت بجوامع الكلم» وروى «و نصرت بالرعب مسيرة شهر» وفي رواية «شهرًا أمامى وشهرًا خلفى» وفي أخرى «و نصرت على العدو ولو كان بينى وبينهم مسيرة شهر».

و هذا الحديث يتضمن ثلاث خصائص للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: ايتاؤه جوامع الكلم من القرآن الكريم والسنة النبوية الكريمة، ليؤدى رسالته بأفصح لسان، ويدعو إليها بأبلغ بيان، بين قوم اشتهروا بالفصاحة، وامتازوا بالبلاغة، ونصره بالرعب وهو الخوف، ليقل فيها سفك الدماء، ويدخل الناس فيها أفواجًا في أقل زمن، مما لم يتحقق لشريعة قبلها من شرائع الرسل الذين بعثوا قبله. واستيلاؤه على ممالك الأرض، لتكون شريعته دينًا ودولة، وتحقق للناس المثل العليا في الحكم، وتضع لهم أساس حضارة جديدة يقوم فيها الحكم على أساس التقى والعدل والعلم، ولا يكون فيها طغيان ولا ظلم ولا جهل.

والذي يهمنا هنا من هذه الخصائص الثلاث الخاصة الثانية، وهي نصره صلى الله عليه وآله وسلم بالرعب، فالرعب: الخوف والفزع، وكان كثير منا معشر المسلمين يفهم خطأ أن الإسلام

انتشر بالسيف، ومن يفهم هذا يفهم خطأ أيضًا أن الرعب الذي نصر به النبي صلى الله عليه وسلم كان رعبًا من ذلك السيف الذي نشر به دينه، لان هذا لازم لذاك، والحقيقة أن الإسلام لم ينشر بالسيف، وانما نشر بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وليس في القرآن الكريم الا أخذ الناس بهذه الدعوة الكريمة، فمن شاء آمن بها فنجا من عقاب الله في الآخرة، ومن شاء كفر بها فاستحق عقابه فيها، وقد جاهد المخلصون من المسلمين في عصرنا حتى أثبتوا هذه الحقيقة، وقضوا على ما كان شائعًا بين المسلمين في أعصر الغفلة والجمود، من أن الإسلام إنما انتشر بالسيف، وقد أراد أعداء الإسلام أن يستغلوا هذا في عصرنا، فطعنوا فيه بأنه لم ينتشر لأنه حق، وانما أكره الناس عليه بالسيف، وأخذوا يخوفون الناس من ظهور أمر المسلمين بعد ضعفهم، ويزعمون أنهم لو عادوا الى الظهور لشنوها حربًا شعواء على الناس لاكراههم على دينهم، فقضى المخلصون لدينهم بذلك على هذا الاستغلال الماكر من أعداء الإسلام، حتى حملوا كثيرًا من المنصفين في أوربا وأمريكا على الشهادة للإسلام بأنه دين سلام لا حرب، وأنه انما يحمل السيف ليحمى دعوته ممن يريد فتنة أهلها عنها، لا ليكره الناس على الإيمان بها.

وإذا ثبت أن الإسلام لم ينشر بالسيف فانه يثبت تبعًا لهذا أن السيف لم يكن له أثر في نصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم

بالرعب، لأنه كما لم يبعث لينشر دينه بالسيف، بل لينشره بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، لم يبعث أيضًا ليثير رعبًا بالسيف بين الناس، وإنما بعث لينشر بينهم سلامًا وأمنا، فيدخلوا في دعوته لا عن فزع ورعب، وإنما يدخلون فيها عن طمأنينة وأمن.

على أن القرآن الكريم قد أتى ببيان سبب ذلك الرعب الذي نصر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فيجب أن نقف عند ما ذكره لذلك من سبب، ولا نجاوزه إلى سبب آخر نخترعه من أنفسنا، ولا سيما إذا كان يسيء الى الإسلام ويشوه محاسنة بين الناس، ويجعلهم يفهمون أنه دين يأخذ بالشدة، و يثير بينهم الرهبة، فلا تكون الحياة فيه حرة كريمة، وإنما تكون حياة رعب وخوف.

و قد جاء بيان ذلك السبب في قوله تعالى في الآية -١٥١- من سورة آل عمران ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ وقد نزلت هذه الآية في غزوة أحد، ولهذا ذهب كثير من المفسرين الى أن هذا الوعد بإلقاء الرعب في قلوب الذين كفروا خاص بها، لأن جميع الآيات المتقدمة على هذه الآية واردة في هذه الغزوة، وذلك أن الكفار استولوا على المسلمين فيها وهزموهم، فأوقع الله الرعب في قلوبهم حتى تركوا المسلمين من غير سبب، وفروا منهم بعد أن هزموهم، ولو لا هذا الرعب الذي

ألقاه الله في قلوبهم لثبتوا ولم يفروا الى أن يقضوا عليهم، وقد روى أنهم لما كانوا في طريقهم الى مكة بعد أن فروا ندموا على تركهم للمسلمين، وقالوا: ما صنعنا شيئًا، قتلنا الأكثرين منهم، ثم تركناهم ونحن قاهرون، ارجعوا حتى نستأصلهم. فلما عزموا على هذا ألقى الله الرعب في قلوبهم، فمضوا في طريقهم الى مكة ولم يرجعوا إليهم.

والحق أن ذلك الوعد غير خاص بيوم أحد، بل هو عام في جميع الأوقات، ولجميع الكفار، لان ما ذكره له من سبب لا يختص بوقت دون وقت، ولا ببعض الكفار دون بعض، وقد قال القفال رحمه الله: كأنه قيل إنه وإن وقعت لكم هذه الواقعة في يوم أحد، الا أن الله تعالى سيلقى الرعب منكم بعد ذلك في قلوب الكافرين، حتى يقهر الكفار، ويظهر دينكم على سائر الأديان، وقد فعل الله ذلك، حتى صار دين الإسلام قاهرًا لجميع الأديان والملل.

و قد ذهب جمع من المفسرين الى أن ذلك الرعب خاص بأولئك الكفار، ولكن ظاهر الآية يفيد العموم، والحق إجراؤه على ظاهره كما سبق، لأنه لا أحد يخالف دين الإسلام إلا وفي قلبه ضرب من الرعب من المسلمين، إما في الحرب وإما عند الجدال والمحاجّة، وقوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ﴾ لا يقتضى وقوع جميع أنواع الرعب في قلوب الكفار، وإنما

يقتضى وقوع هذه الحقيقة، ولو من بعض الوجه دون بعض.

فصريح هذه الآية أن إلقاء الرعب في قلوب الكفار لم يكن بسبب تسليطه للنبي صلى الله عليه وسلم على الناس بسيف أو نحوه من آلات الحرب، وانما كان لان أولئك الكفار أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا، والسلطان ههنا هو الحجة والبرهان، لأن السلطان في اللغة هو الحجة، وإنما قيل للأمير سلطان لأن معناه ذو الحجة، وقيل إنه مأخوذ من السليط وهو الذي يضاء به، وقيل إن السلطان هو القدرة بناء على أخذه من التسليط، لأن في البرهان سلطانًا لقوته على دفع الباطل

قال الفخر الرازي: وتقرير هذا بالوجه المعقول هو أن الدعاء إنما يصير في محل الإجابة عند الاضطرار، كما قال: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ ومن اعتقد أن لله شريكًا لم يحصل له الاضطرار، لأنه يقول: ان كان هذا المعبود لا ينصرني فذاك الأخر ينصرني، وان لم يحصل في قلبه اضطرار لم تحصل الإجابة ولا النصرة، وإذا لم يحصل ذلك وجب أن يحصل الرعب والخوف في قلبه، فثبت أن الإشراك بالله يوجب الرعب.

و الأمر أسهل من تكلف هذا الدليل المنطقي الذي يسوقه الفخر الرازي، وإنما ذلك الرعب لما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الحق في أصول الدين وفروعه، وأن الإسلام دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فكانت هناك حرب معنوية

بين هذا الحق الذي جاء به الإسلام، وبين الباطل الذي كان عليه أعداؤه، وهذه الحرب المعنوية هي التي كانت تثير الرعب في قلوب الكفار، لأن الباطل لا يقوى أمام الحق، بل يضعف ويزهق، كما قال تعالى في الآية -٨١- من سورة الإسراء: ﴿ وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾.

و الحقيقة أن أعداء الإسلام حينما بدأهم بالدعوة بالحجة والبرهان عجزوا عن مقارعة الحجة بالحجة، ولم يكن عندهم إلا حجة التقليد لآبائهم، كما قال تعالى في الآية -٢٢- من سورة الزخرف: ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ وهي أوهى من حجة العقل التي كان يقرعهم بها، ولهذا ذمهم لعدم استعمالهم عقولهم، كما قال تعالى في الآية -١٧٠- من سورة البقرة:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾.

و لما عجزوا عن مقارعة الحجة بالحجة رموا النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرة بالسحر، ومرة بالكذب، ومرة بالجنون، ومرة بالكهانة، وكل هذا من شأن العاجز المعاند، بل كانوا لمزيد عنادهم يقولون ما حكاه القرآن عنهم في الآية -٣٢- من سورة الأنفال: ﴿ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاء أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

ثم انتهى أمرهم بالقتال، فشروعوا السيف في وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقامت الحرب بين الفريقين، ولكنهم لم يحاربوا إلا بعد أن شعروا بضعف باطلهم فاستمر شعورهم بهذا الضعف بعد حربهم، ومن يكون هذا شأنه لاتطمئن نفسه في القتال، بل يكون دائمًا في خوف ورعب، لشعوره بضعف ما يحارب في سبيله، فيخاف سوء العاقبة في دنياه وأخراه، ويتملكه من الرعب والخوف من ذلك ما يتملكه.

ولم يكن هذا الشعور بالضعف خاصًا بالمشركين وحدهم، بل كان يشاركهم في التهيب من شأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، كما يتبين من قصة وفد نجران، فقد وفدوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة، فأورد عليهم الأدلة، وأقام عليهم الحجج، ولكنهم أصروا على دينهم، فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله أمرني إن لم تقبلوا الحجة أن أباهلكم. ثم خرج صلى الله عليه وآله وسلم الى مباهلتهم، وعليه مرط من شعر أسود، وقد احتضن الحسين، وأخذ بيد الحسن، وفاطمة تمشى خلفه، وعلى رضي الله عنه خلفها. ثم قال لهم: إذا دعوت فأمّنوا. فلما رآهم أسقف نجران قال: يا معشر النصارى، أنى لأرى وجوهًا لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني الى يوم القيامة، فأدركهم ما

أدركهم من الخوف حين سمعوا كلامه، وامتنعوا عن المضي في مباهلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وصالحوه على أن يؤدوا إليه الجزية ويبقوا على دينهم.

أما المشركون فكان أمرهم في ذلك الرعب أشد، حتى أنه كان يفوت عليهم ثمرة ما يدركونه أحيانًا من نصر، كما سبق في غزوة أحد، ومثل هذا حصل في غزوة الأحزاب، ففد جمع المشركون فيها جموعًا كثيرة للاستيلاء على المدينة، فحاصروها حصارًا شديدًا، حتى ضاق الأمر بالمسلمين، وزاغت منهم الإبصار، وبلغت القلوب الحناجر، ولم ينجهم إلا ما ألقى في قلوب المشركين من الرعب حين طال عليهم الحصار، وأرسلت عليهم ريح باردة في ليلة مظلمة، فأدركهم فيها من الخوف ما أدركهم، وأجمعوا على الرحيل قبل أن يصبح الصباح، ولو لا ذلك الرعب الذي كان يلازمهم في حروبهم، لأدركوا في هذه الغزوة ثمرة كثرة جموعهم، ولصبروا حتى يسلم لهم المسلمون إذا طال الحصار عليهم.

وقد اختلف في ذلك الرعب: أكان خاصًا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، أم كان لأمته أيضًا من بعده؟ والحق أن ذلك الرعب استمر بعده لخلفه الصالح من صحابته وخلفائه الراشدين، حتى فتحوا به مملكتي الفرس والروم، مع أنهم كانوا أقل منهم جندًا، وأضعف منهم آلة حرب، فحققوا بهذا وعد الله لهم،

وانتثلوا خزائن الأرض، واستخرجوا ما في ممالكها مما أفاء الله عليهم من خير، ومنحهم من فضل.

وقد بقى ذلك الرعب لأمته ما بقوا متبعين هديه، متمسكين بسنته، فلما انحرفوا عن ذلك الهدى، وفرطوا في أوامر دينهم ونواهيه، وأساءوا التصرف في دينهم ودنياهم، وأعمتهم الشهوة، وغرهم سعة السلطان، أدركهم من الضعف ما أدركهم، حتى استبد فيهم الحكام، وساروا فيهم بالطغيان، فزال الرعب الذي كان في قلوب أعدائهم منهم، بل حل الرعب في قلوبنا من أعدائنا، حتى استولوا على بلادنا، وقضوا على ممالكنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

إنَّ الأرض الفلسطينية عامة والقدس خاصة كانت على مرّ التاريخ مَطمَع بعض القوى الغربية، والحروب الصليبية المتواصلة الطويلة ضد المسلمين مظهر بارز لتلك الاطماع في هذه الأرض المقدسة، ولا غرو أن يقف ذلك القائد العسكري الغربي بعد انهزام الدولة العثمانية ودخول الحلفاء الى القدس، ويرفع عقيرته قائلاً: «آلآن انتهت الحروب الصليبية».

الامام السيد علي الخامنئي

من وثائق القيادة الإسلامية

نصّ الكلمة التي وجهها الامام الخامنئي
قائد الثورة الاسلامية الى المؤتمر الدولي لدعم الانتفاضة الفلسطينية ٢٠٠١م

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه الذي منَّ علينا بهداية الاسلام، وشرّع لنا الجهاد الذي هو باب من أبواب الجنّة. فتحه اللّه لخاصة أوليائه.. و(سبحان الَّذي أسرى بعبده ليلاً مِنْ المسجدِ الحَرامِ اِلى المسجد الاقصى الّذي باركنا حولهُ لِنُريهُ من ايتنآ اِنَّهُ هُو السَّميعُ البَصيرُ) والصلاة والسلام على نبيه البشير النذير محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.

السادة الضيوف والحضور الكرام..

أرحّب بكم جميعًا.. سائلا اللّه سبحانه أن يشملنا جميعًا برحمته وهدايته.

إن انعقاد تجمّع كهذا قرار مبارك، وأرجو من اللّه أن يكون مردوده إيجابيًا بنّاءً على دعم انتفاضة الشعب الفلسطيني المسلم. هذا النوع من التجمّعات يركز عمليًا على أن القضية الفلسطينية

قضية إسلامية.. وقضية كلّ العالم الاسلامي.. وأن احتلال فلسطين واحد من أركان التآمر الشيطاني، الذي عمدت إليه قوى الهيمنة العالمية، ممثلة ببريطانيا سابقًا، وبأمريكا حاليًا لإنهاك العالم الإسلامي وتمزيق صفوفه.

إن أعداء الإسلام كانوا جادين دومًا في إقامة الحواجز القومية والمذهبيّة بين المسلمين لإبعادهم عن توحّدهم ومن ثَمَّ للسيطرة على مقدّراتهم.

في بدايات أعوام احتلال فلسطين نهض علماء مجاهدون مثل «الشيخ عز الدين القسّام» و«الحاج أمين الحسيني» فرفعوا صوتهم يستنصرون المسلمين لإنقاذ الوطن السليب، وأصدر المرجع الديني الكبير يومئذ «الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء» حكم الجهاد ضد الصهاينة. لكنّ الطابع الاسلامي للقضيّة خفّ باستمرار لتنحصر مع الأسف في الإطار القومي.

إنّ انتصار الثورة الاسلامية في إيران بقيادة الامام الخميني.. هذا الرجلُ الحكيم من ذريّة رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم كان له الدور الكبير في الصحوة الإسلامية على الصعيد العالمي عامة وعلى صعيد بلدان المنطقة بشكل خاص.

إنَّ انتصار المقاومة الإسلامية في حرب غير متكافئة على الظاهر في جنوب لبنان دلالة أخرى على مصداقية وأصالة الجهاد الإسلامي، وتأكيد آخر على أن النصر حليف المسلمين حتمًا إن

وثقوا بوعد اللّه تعالى، وجاهدوا في سبيله سبحانه.

مما لاشك فيه أن الانتصار الباهر الذي سجلته المقاومة الإسلامية في جنوب لبنان من جهة، وفشل مشاريع الاستسلام من جهة أخرى من العبر الكبرى في منطقتنا، وهي التي دفعت بالشعب الفلسطيني المسلم لأن يعود الى الانتفاضة مرة أخرى.. غير أنها عودة لا يمكن أن يكون فيها لمحاولات الاستسلام داخل فلسطين أو في المنطقة أثرٌ على أبناء الشعب الفلسطيني الصبور والشجاع والمقاوم. فلقد عزم هذا الشعب بحول اللّه وقوته أن يواصل مسيرته حتى النصر. فالانتفاضة الاولى توقفت بسبب ضغوط الانهزاميين والدوائر الامريكية والغربية وبسبب الوعود المعسولة التي قدمها الصهاينة وحماتهم، زاعمين أنهم سيمنحون الشعب الفلسطيني حقّه عن طريق المحادثات السلمية. ولكن عشر سنوات مرت على تلك الوقفة أثبتت أن كلَّ مساعي حماة الصهيونية في العالم إنما كانت لإنقاذ دويلة الصهاينة من ضغط النضال الإسلامي، وأثبتت أنّ ما قدّموه من وعود للمفاوضين الفلسطينيين لم تكن سوى سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء.

إنَّ مظاهر البطش والعنف والإرهاب والاحتلال والتوسّع المشاهَد اليوم بوضوح في ممارسات الصهاينة كان متوقعًا منذ البداية تماما لكل ذي بصيرة، ولكلّ المخلصين في المجتمعات الإسلامية.

دويلة الصهاينة الغاصبة الخادعة قامت أساسًا على الاعتداء على الحقوق الحقّة للشعب الفسطيني، ولاقت دعمًا من بعض الحكومات الغربية وخاصة أمريكا. والمحافل الدولية أيضا سعت - بخلق المبررات لتصرفات الكيان الصهيوني - لأن تضفي شرعية على هويته واعتداءاته.

إنَّ الأرض الفلسطينية عامة والقدس خاصة كانت على مرّ التاريخ مَطمَع بعض القوى الغربية، والحروب الصليبية المتواصلة الطويلة ضد المسلمين مظهر بارز لتلك الأطماع في هذه الأرض المقدسة، ولا غرو أن يقف ذلك القائد العسكري الغربي بعد انهزام الدولة العثمانية ودخول الحلفاء الى القدس، ويرفع عقيرته قائلاً: «آلآن انتهت الحروب الصليبية».

احتلال هذه الأرض جاء نتيجة مشاريع متعددة الأطراف، ومعقدة وبهدف منع المسلمين من الاتحاد والائتلاف ومنع إعادة تأسيس دول إسلامية مقتدرة. وثمة أدلة على أن الصهاينة كانوا على علاقة وثيقة بالنازيين الألمان، وتقديم قوائم مبالغ فيها بمقتل اليهود إنما كان يستهدف إثارة عواطف الرأي العام العالمي وتهيئة الاجواء لاحتلال فلسطين، وتبرير جرائم الصهاينة. بل إن ثمة وثائق تثبت أنّ جمعًا من الأشرار وحثالات البشر غير اليهود من شرق أوربا قد عبّأوهم ودفعوهم الى فلسطين على أنهم يهود ليقيموا نظامًا معاديًا للاسلام في قلب العالم الإسلامي بحجة حماية ضحايا النازية، وليفصلوا بين شرق العالم الإسلامي وغربه، بعد

وحدة استمرت ما يقرب من أربعة عشر قرنًا.

فوجئ المسلمون في بداية الامر، لأنهم كانوا في غفلة من حقيقة مشاريع الصهاينة وحماتهم الغربيين. وانهزم العثمانيون. وأُبرمت اتفاقية سايكس - بيكو سرًا لتقسيم البلدان الإسلامية في الشرق الأوسط بين الفاتحين. عصبة الأمم أناطت الوصاية على فلسطين بالبريطانيين. وهؤلاء قدّموا وعود المساعدة للصهاينة، وفي إطار مجموعة من المشاريع المدروسة استقدموا اليهود الى فلسطين وشرّدوا المسلمين من ديارهم. وفي هذه المواجهة الطويلة التي كان أحد طرفيها الغرب والصهاينة والطرف الآخر الدول العربية الفتيّة، استخدم أعداء الإسلام آليات متنوعة ومعقدة ومنها وسائل الإعلام والمحافل الدولية. إذ كانوا يدعون المسلمين من جهة الى الصبر وضبط النفس والاشتراك في محادثات السلام والتسوية، ومن جهة أخرى يغدقون السلاح على إسرائيل. هدفهم الاستراتيجي في هذا التعامل المزدوج وغير المتكافئ بين البلدان الاسلامية وإسرائيل إنما هو حفظ التفوّق العسكري الإسرائيلي على البلدان الاسلامية، ومساندة الكيان الصهيوني في المحافل الدولية، واستخدام أبواقهم الإعلامية لتبرير جرائم الصهاينة، وترسيخ فكرة إسرائيل التي لا تقهر بين المسلمين.

الكيان الصهيوني منذ أن أقرت منظمة الأمم المتحدة تأسيسه قبل أكثر من نصف قرن وحتى العام الماضي كان يصول دونما مانع أو رادع، غير أنّ المقاومة الإسلامية في لبنان، بعدّة آلاف من

شبابها المسلحين بسلاح الإيمان قضّت مضجع هذا النظام وحماته. هؤلاء الشباب الاعزّاء طردوا إسرائيل وهي ذليلة من جنوب لبنان دون تقديم أي امتياز. وأصبح انتصار هؤلاء الفتية الاعزّاء مشعلا يضيء الطريق أمام غيرهم من المجاهدين المسلمين، ونحن اليوم نشهد انتفاضة المسجد الاقصى، وهي نموذج موسّع للمقاومة الإسلامية في لبنان.

واليوم إذ اجتمعتم أنتم أيها الأعزّة، من منطلق الفريضة الإسلامية، لدعم الانتفاضة، تتحملون مسؤوليات ثقيلة. قبل كل شيء، وفي ظلّ الصحوة الإسلامية، يجب أن تعلنوا عن إرادة العالم الإسلامي، في العودة الى السنن الحسنة في تاريخه المجيد. وهذه السنن، وعلى رأسها تضامن المسلمين كانت وراء كل ما حققوه من انتصار في الماضي أمام المعتدين الصليبيين. لقد كان المجاهدون في تلك المواجهات التاريخية يهبّون من كل أرجاء العالم الإسلامي لنصرة إخوانهم وللالتحاق بالحرب المصيرية الطويلة بين الكفر والايمان.

المسلمون في كل العالم اليوم منشدّون الى النضال المصيري في الساحة الفلسطينية، ويعقدون الأمل عليه أكثر من الانتفاضة الاولى، إذ كانت تلك الفترة، أعني قبل عشر سنوات، فترة هيمنة جوّ التسوية بالتدريج على المنطقة. كانت قلوب البعض مع أمريكا، وكان آخرون يعتقدون بعدم إمكان الوقوف بوجه الضغوط السياسية الدولية، وبعدم وجود طريق سوى التسوية، ولو

بثمن الرضوخ للشروط الأمريكية والإسرائيلية. والتطورات التي شهدتها المنطقة يومئذ عملت على ترسيخ هذه النظرية، لكن مؤتمركم ينعقد في عامنا هذا وقد وصلت الحلول الاستسلامية الى طريق مسدود، وحتى أولئك الذين كانت ولا تزال قلوبهم مع أمريكا يقرّون بأن هذا الطريق مسدود.

في بداية التسعينات ساد العرب والمسلمين جوٌ من الإحباط على أثر سلسلة من الهزائم المتتالية (خلال أحداث حرب الخليج الفارسي)، وتعرّضت وحدتهم الداخلية أيضا لخطر انهيار جدّي، واستشرت فيهم الفُرقة والتشتت. غير أن آمالاً جديدة حيوية سطعت في قلوب المسلمين في الظروف الراهنة، خاصة بعد الانتصارات التاريخية العظيمة للمقاومة في جنوب لبنان.

كان الأسلوب المطروح يومئذ في التعامل مع إسرائيل ينحصر في مسلكين: الأول - مواجهة عسكرية بين الجيوش العربية وإسرائيل، وكان يقال إن كل التجارب واجهت الفشل في هذه المواجهة. والثاني - التسوية التي تحقق مآرب إسرائيل بالطرق السلمية، ومقابل الانسحاب من بعض الأراضي المحتلة يتقرر ضمان عدم تطوير القدرة العسكرية للبلدان العربية، كما حدث في كمب ديفيد. لم يكن نموذج المقاومة مطروحًا يومئذ، وكان يقال إنه لا يحظى بقبول عام. لكننا اليوم أمام نموذج أثبت نجاحه واستطاع لأول مرة أن يحرر الأرض المحتلة دون أن يعطي أي امتياز لإسرائيل، وحال دون تحقيق مآرب الصهاينة في رفع عَلَمهم على

عاصمة هذا البلد العربي أعني لبنان. في كمب ديفيد كان شرط انسحاب إسرائيل عدم إرسال جيش مصري الى شمال سيناء، ولكنْ هاهي إسرائيل القلقة من قدرة المقاومة الإسلامية في جنوب لبنان تتوسل لإرسال الجيش اللبناني الى الحدود الفلسطينية اللبنانية. وهذا يعني أن المقاومة استطاعت إعادة السيادة التامة في الجنوب اللبناني والمناطق المحتلة الأخرى.

هذه الانتفاضة، هي ثورة شعب نفض يده من كل أساليب التسوية، وفهم أن النصر رهين مقاومته. الشعب الفلسطيني في انتفاضته السابقة تكبّد خسائر جسيمة، وقدّم على طريق الإسلام وتحرير الارض الاسلامية كثيرًا من الشهداء والجرحى، لكنّ محادثات أوسلو قضت بايقافها في النهاية. وماذا كانت نتيجة أوسلو؟ حتى المخططون الفلسطينيون لتلك المحادثات لا يدافعون عنها اليوم، لأنهم أدركوا عمليًا أن إسرائيل كانت تريد فقط أن تتخلص من ورطتها، أي أن تتخلص من مواجهة ثوار الحجارة، وتقلل مما يواجهها من أخطار. وإذا أعطت شيئًا شحيحًا الى الجانب الفلسطيني وسمّته إعطاء امتياز، فإنما كان لغرض إخماد شعلة الانتفاضة والتقليل من احتمالات الاخطار. وما إن رأت مشكلتها قد انحلّت، وأحسّت خطأ أن الشعب الفلسطيني لم يعد قادرًا على استئناف الانتفاضة والمقاومة والمواجهة، أوقفت حتى ذلك الضئيل من الامتيازات وكشفت عن أهدافها الذاتية التوسعية. مسيرة الاستسلام في مشروع أوسلو وضع الشعب

الفلسطيني أمام طريق واحد لا غير، هو طريق الانتفاضة.

المحورُ الأساس في الانتفاضة الثانية هو المسجد الاقصى. أي إن الشرارة التي فجّرت غضب الشعب الفلسطيني هي تدنيس الصهاينة للاقصى. الشعب الفلسطيني انطلق من إحساسه بالرسالة الخطيرة التي يحملها في حراسة واحد من أقدس الأماكن الدينية الإسلامية، ودخل الساحة بقوّة، وأضرم شعلة المقاومة والنضال ضد المحتلين الصهاينة.

لقد أدّت مسيرة الاستسلام وبشكل خاص في أوسلو الى تشتيت الفلسطينيين، لكن هذه الانتفاضة المقدسة استطاعت أن تعيد الوحدة الوطنية الى الساحة الفلسطينية. وتلاحظون أن كلّ فئات الشعب حاضرة في هذا النضال، والفصائل الإسلامية والوطنية متكاتفة، بل حتى أولئك الذين لاتزال قلوبهم في مكان آخر مضطرون الى مماشاة هذا التحرّك العظيم.

لقد برزت «النهضة الاسلامية» أو بعبارة أخرى «حركة الصحوة الاسلامية» على ساحة المنطقة والعالم الاسلامي بقوّة وصلابة في العقدين الأخيرين بعد انتصار الثورة الإسلامية في ايران، وظهور حركة الامام الخميني رضي اللّه عنه.

إنَّ المحور الأساس لهذه النهضة والصحوة اليوم هو القضية الفلسطينية. انتفاضة الأقصى استطاعت أن تتجاوز حدود فلسطين الجغرافية وتستقطب عامة الشعوب العربية والإسلامية. مسيرات الملايين من أبناء الشعوب الإسلامية من شرق العالم الإسلامي

حتى غربه أوضحت أن الشعب الفلسطيني يستطيع أن يعتمد على دعم هذه الشعوب، وأنه قادر في الوقت ذاته أن ينهض بدور هام في توحيد صفوف المسلمين.

يوم انبثقت «المقاومة الاسلامية» في لبنان بسواعد الأبطال اللبنانيين وبتوصية الإمام الخميني رضى اللّه عنه ودعمه، كانت إسرائيل تحتل العاصمة اللبنانية، وكانت مسيطرة على المقدرات السياسية لهذا البلد. يومها، حين كانت المقاومة الاسلامية ترفع شعار: «زحفًا زحفًا نحو القدس» كان هناك من المغفّلين من يعتقد أن هؤلاء أناس سذّج بسطاء. وكانوا يسألون نكاية: هل من الممكن الزحف نحو القدس وأنتم اللبنانيون يتعذّر عليكم دخول عاصمة بلدكم؟! والزمان بين ذلك اليوم والانتصار التاريخي للمقاومة الاسلامية على إسرائيل ثمانية عشر عامًا فقط. وتعلمون أن ثمانية عشر عامًا ليست بالزمن الطويل في تاريخ نضال الشعوب.

النضال دون شك مقرون بخسائر مؤسفة. الناس يستشهدون، والبيوت تهدّم، والضغوط الاقتصادية تثقل كاهل المواطنين، وعشرات المصائب الأخرى التي نشعر بمرارتها وآلامها من أعماق القلوب.

لكن المهم أن ننظر في نتائج هذه التضحيات. الانتصار له قيمته الكبرى، ولابد من دفع ثمنه، ومن خطب الحسناء لم يغله المهر.

إسرائيل التي كانت يومًا تعربد ثملة في هذه المنطقة وتُملي

كلَّ شروطها على الشعوب العربية، هي اليوم راكعة بضعف وكآبة أمام عظمة المقاومة الإسلامية، وهذا جزء يسير من ثمار تفعيل طاقات الشعوب العربية والإسلامية. ثقوا أن طاقات العالم الإسلامي جميعًا، بل بعضها، لو سخّرت في هذا الاتجاه لرأينا زوال إسرائيل وفنائها. إسرائيل هُزمت في جنوب لبنان من مقاومة بضعة آلاف رجل. صحيح أن حزب اللّه يتمتع بعمق شعبي واسع، وأنه استطاع في الأوقات الضرورية أن يعبّئ الآلاف، بل عشرات الآلاف، ولكنه على طول الخط كان يعتمد على بضعة آلاف بل بضع مئات في محاور المواجهة مع الصهاينة المحتلين. أي إن إسرائيل بكل معداتها العسكرية وتقنياتها الحربية المتطورة المتصلة بالترسانة الحربية الأمريكية قد انهزمت أمام بضع مئات من الشباب المؤمنين المتحمسين المزودين بسلاح بسيط للغاية، وطبعًا بسلاح قوي للغاية هو سلاح الإيمان.

إذن نحن أمام نموذج واضح جليّ للمقاومة، أي يمكن تحقيق النصر بالمقاومة والنضال، وطبعًا مع تحمّل مشاق طريق ذات الشوكة. كما أنّ نموذج الهزيمة ماثل أمامنا أيضا وهو عقد الآمال على أساليب التسوية واستجداء السلام. ونتيجته واضحة أيضًا: الوهن.. والذلّ.. وبالتالي فرض إرادة إسرائيل من جانب واحد، وقد رأينا ذلك بأم أعيننا.. فهل من مدّكر؟!

إنَّ حزب اللّه وانتصاراته التاريخية تشكل اليوم سندًا لانتفاضة الشعب الفلسطيني. إنه حتمًا سند قويّ في غاية القوّة.

الكيان الصهيوني لا يمتلك إطلاقًا قدرةً على المواجهة المستمرة الطويلة مع الفلسطينيين. لقد خُدع اليهود وزُجّ بهم في فلسطين على أمل أن العرب قد كفّوا عن الحرب وألقوا السلاح، وعلى أمل أن الغرب سوف لا يسمح للعرب بمواجهة طويلة. ومن هنا فإن اليهود المستقدَمين الى فلسطين ليسوا على استعداد أن يضحّوا بوجودهم من أجل تحقيق أهداف مؤسسي الصهيونية. والتقارير تؤكد هبوط السياحة اليهودية في أرض فلسطين بشدّة، بل اشتداد الهجرة العكسية منها.

مؤتمر فلسطين الأول بطهران نهض بدور أساسي، فقد وفّر محطة لآمال معارضي الاستسلام، كما بثّ روح الأمل في شعب فلسطين ورفع من معنوياتهم. مواقف إيران الإسلام وصمودها الفريد استطاع أيضا أن يشعّ بالأمل في قلوب أبناء هذا الشعب المقدام، والشعب الفلسطيني يحتاج الآن أيضًا الى الدعم المعنوي والى المواقف الصامدة. صحيح أنه بحاجة الى المال أيضا، ولابدّ لهذا الامر من إجراءات جادّة، لكن المواطنين الفلسطينيين أنفسهم يقولون لمن يقابلهم: نحن نحتاج بالدرجة الأولى الى مواقف وقرارات قوية عربية - إسلامية.

إنَّ مؤتمركم يجب أن يوفّر أجواء تلبية هذه الحاجة، وأن يملأ قلوب الشعب الفلسطيني ثقة بدعم الأمة الاسلامية دعمًا سخيًا شاملا. وأنتم نوّاب البلدان الاسلامية المختلفة تستطيعون أيضًا ببذل الجهد على هذا الطريق أن تعبئوا إمكانات شعوبكم

لتحرير فلسطين. وإنَّ الدفاع عن الشعب الفلسطيني المظلوم ونهضته الباسلة المظلومة واجبنا الإسلامي جميعًا، إنه شعب مسلم مضمّخ بالجراح يرفع صوته اليوم من وسط ساحة المعركة داعيًا الأمة الإسلامية إلى نصرته. لا أنسى أبدًا صرخة تلك المرأة الفلسطينية التي وقفت أمام عدسات المراسلين تنادي بصوت مبحوح: «يا للمسلمين»!!

على كل المسلمين والعرب أن يدعموا شرعية نضال الشعب الفلسطيني. ولابدّ من التأكيد في المحافل الدولية أن شعبًا أعزل قد اغتُصبت حقوقه ويقبع تحت الاحتلال له الحق أن يناضل لاستعادة حقوقه. لذلك فان استمرار انتفاضة الشعب الفلسطيني ومقاومته حق مشروع لهذا الشعب، والقوانين الدولية أيضا تحترم ذلك، مع أن هذه القوانين تُفسَّر مع الأسف في اتجاه إرادة الاستكبار وقوى الهيمنة العالمية.

أيها السادة، ثقوا أن الكيان الصهيوني متآكل من داخله، والجيل الراهن ليس على استعداد للفداء والتضحية من أجل حفظه.

كما أنَّ الشعوب العربية والمسلمة هي اليوم أكثر قوة وحيوية من أي وقت مضى في السنوات الخمسين الماضية، فقد أصبحت ذات مقدرة في شتّى المجالات.

لم يعد المسلمون قادرين على السكوت أمام مشهد القمع اليومي للشعب الفلسطيني. ولابُدَّ من إفهام إسرائيل أنّ استمرار

قمع الشعب الفلسطيني وقصف المناطق الفلسطينية سيواجه من كل العرب والمسلمين ردًّا جادًّا عمليًا وبكل شدّة.

يجب تعزيز أمل الشعب الفلسطيني في استمرار مقاومته. الشعب الفلسطيني يعلم جيدًا أن الذي صدّ إسرائيل عن الممارسات القمعية في لبنان هو قدرة المقاومة في الردّ على إسرائيل وفي إنزال الضربات القاصمة بها، لا الاعتماد على المساعي المسماة بالسلمية ولا على وساطة هذا وذاك.

إنَّ وحدة الصف الداخلي الفلسطيني بفصائله المختلفة مسألة أساسية. كل مامن شأنه أن يؤدي الى انحراف المسير والى عدم التوجّه الى العدوّ الأصلي لا يصبّ حتمًا في خدمة القضية الفلسطينية. الفلسطينيون قد خرجوا والحمد للّه من امتحانهم خلال الأعوام الخمسين الماضية فائزين فخورين، وأثبتوا جدارتهم ونضجهم في شتى المواقف. رأينا أن كلَّ مساعي إسرائيل لتوسيع شقة الخلافات بين المجاهدين باءت بالفشل، وكل التيارات الأصيلة والحركات الجهادية والمجموعات المناضلة على اختلاف اتجاهاتها وانتماءاتها قد حالت دون تحقق آمال العدوّ بصبر ثوري. ولابد أن تستمر الحالة على هذا المنوال أيضًا.

لقد اتضح الآن بشكل لا لبس فيه أن أولئك الذين كانوا يرون القضية الفلسطينية حالة مرحلية وإقليمية محدودة بقسم صغير من العالم الاسلامي هم على خطأ تمامًا. ترسانات الأسلحة الذرية وأسلحة الدمار الشامل المخزّنة في مستودعات العدوّ

الصهيوني ليست لمواجهة الفلسطيني الأعزل، بل لغرض السيطرة على العالم الإسلامي، وخاصة على منطقة الشرق الاوسط.

مانشاهده اليوم من هجوم إسرائيلي على القوات السورية للانتقام من عمليات حزب اللّه الرامية لتحرير الأرض المحتلة، إنما هو دليل واضح على هذه النوايا الشيطانية الشريرة لإسرائيل وحماتها الغربيين.

المسار العام للنضال ضد الكيان الغاصب يجب أن يكون على النحو التالي:

اولاً - فرض الحصار على الكيان الغاصب داخل حدود الأرض المحتلة وتضييق الخناق عليه في المجال الاقتصادي والسياسي، وقطع ارتباطه بمحيطه الخارجي.

ثانيًا - استمرار نضال الشعب الفلسطيني ومقاومته داخل الأرض المحتلة، وتزويده بالمساعدات اللازمة التي تمكّنه من الاستمرار حتى تحقيق النصر.

أيها الاخوة والاخوات

السبب الرئيس في كل الضغوط الشاملة التي يوجهها الاستكبار العالمي وعلى رأسه أمريكا لايران إنما هو لمواقفها المساندة لفلسطين. قالوها بكل صراحة إن المشكلة الاصلية بين أمريكا وإيران هي معارضة الجمهورية الاسلامية لمشاريع التسوية والاستسلام المذلة في فلسطين. أما بقية الامور كالادّعاء السخيف بشأن انتهاك حقوق الانسان وتصنيع أسلحة الدمار الشامل لا تعدو

أن تكون ذريعة. وإذا كفّت إيران عن دعمها لنضال الشعبين اللبناني والفلسطيني فإنهم سيكفون عن مواقفهم العدائية تجاه إيران. نحن نعلم طبعًا بوضوح أن مشكلتهم الأصلية هي الإسلام والحكومة الإسلامية. وهم أيضا يعرفون جيدًا حقيقة هذا التوجّه في سياسات الجمهورية الاسلامية. كان جوابنا لهم هو الردّ، وأننا نعتبر دعم الشعبين الفلسطيني واللبناني من واجباتنا الإسلامية الهامة. لذلك فإنهم يوجهون علينا ضغوطهم من كل حدب وصوب. سياستهم الأصلية والاستراتيجية بثّ بذور التفرقة بين الصفوف المتحدة المتراصّة للشعب المسلم الثوري الإيراني. يطلقون على جماعة اسم الاصلاحيين وعلى آخرين اسم المحافظين، يساندون جماعة، ويركزون هجومهم على جماعة أخرى.

هؤلاء يسعون عن طريق تضخيم بعض الاشكاليات ليصوروا عدم فاعلية النظام الاسلامي، وليبثوا اليأس في القلوب من النظام الديني ويروجوا لفصل الدين عن السياسة. الإيمان الديني العميق في نفوس الجماهير أكبر سدّ في طريقهم. إنهم يحاولون بخططهم الإعلامية أن يبثوا اليأس في نفوس الشباب، وأن يصوّروا المشاكل الاقتصادية المتعارفة الرائجة بدرجة وأخرى في كل أرجاء العالم بأنها من المسائل المستعصية على الحل في الجمهورية الاسلامية الإيرانية. إنهم بخطتهم الإعلامية يسعون الى التشكيك في مصداقية الإمام وأركان الثورة. وسبب ذلك يعود الى أن مصالحهم تضررت من نهوض المسلمين ومن الثورة الإسلامية. يشعرون

بالخطر من الصحوة الإسلامية في العالم. ويحسون بقلق شديد من اتساع نطاق النضال الإسلامي في لبنان وفلسطين. لذلك شمّروا عن ساعد الجدّ لاستئصال جذور الفكر الاسلامي، ووجهوا سهامهم الإعلامية السامة صوب الإسلام والدين. وكلما اتسع نطاق النضال في لبنان وفلسطين ازدادت الصهيونية وأمريكا غضبا وحنقًا على نظام الجمهورية الاسلامية الايرانية، وازداد تآمرهم علينا، ولكنهم يجب أن يعلموا:

أنه على الرغم من كل تضليلهم فإن الانسجام يسود بين المسؤولين والرؤساء في بلدنا، والشعب الايراني المسلم يقف بكل قطاعاته وراء أهداف الثورة والإسلام ويتبنى قضية الشعب الفلسطيني. وإنَّ دعم القضية الفلسطينية والانتفاضة والنضال ضد الصهاينة وحماتهم من الأركان الاساسية والاستراتيجية للجمهورية الاسلامية الايرانية. نحن على يقين بأن فلسطين ستتحرر بمواصلة نضال الشعب الفلسطيني ودعم العالم الاسلامي وستعود القدس ويعود الاقصى الى حضيرة العالم الإسلامي بإذن اللّه. واللّه غالب على أمره.

والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته

من أخبار وكالة الانباء الدولية للتقريب

إساءة الاسرائيليين للمقدسات

واصل الإسرائيليون تطاولهم البذئ ضد أنبياء الله ورسوله، فلم تكد تمر أيام على قيام مقدم برنامج تليفزيوني يذاع على القناة العاشرة بالتليفزيون الإسرائيلي بالتطاول على السيد المسيح وأمه مريم العذراء عليهما السلام وما تبعه من احتجاجات واستنكارات واسعة من قبل المسلمين والمسيحيين في العالم ، عادت نفس القناة الصهيونية المتطرفة لتمس بمشاعر المسلمين من خلال الإساءة البالغة للنبي الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك خلال أحد برامجها التليفزيونية.

وأثارت هذه الإساءة ردود فعل غاضبة وموجة من الاحتجاجات الواسعة تمثلت في بيانات وتظاهرات في العديد من البلدات والمدن العربية.

وقالت الحركة الإسلامية في بيان لها، إن الإساءة لرسول الله وللمسيح أبن مريم عليهما السلام ولأي نبي ورسول هي مساس بمشاعر كل مسلم على وجه هذه الأرض، وقالت إن المؤسسة الإسرائيلية الرسمية هي المعتدي الحقيقي وهي المسيء الحقيقي والفعلي.

من جهته استنكر الشيخ إبراهيم عبدالله رئيس الحركة الإسلامية ورئيس القائمة الموحدة والعربية للتغيير، هذه الإساءة

قائلا: "لم نخرج بعد من صدمة الإساءة لنبي الله عيسى عليه السلام وأمه الطاهرة مريم عليها السلام من خلال برنامج ترفيهي تبثه القناة العاشرة الإسرائيلية، الذي أساء إلى مشاعر مليارات المسلمين والمسيحيين وأحرار العالم، فخرجت علينا نفس القناة بحملة شنيعة وسافلة ضد الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم، الذي يدل على ما يبدو أن القناة تقود عن سابق إصرار وقصد حملة منحطة وممنهجة، تستهدف الإساءة للديانات السماوية ورموزها، وهي بهذا التصرف الأرعن تتجاوز كل الخطوط الحمراء، وتلعب بنار إن اشتعلت لن تبقي أخضرا ولا يابسا، وستضع المنطقة على كفة عفريت'.

مجمع الفقه الإسلامي يستنكر الاساءة للسيد المسيح

استنكر مجمع الفقه الإسلامي الدولي، باسم علماء الأمة وفقهائها، ما تناقلته وسائل إعلام صهيونية من إساءات للسيد المسيح وأمه السيدة مريم البتول عليهما السلام. وقال المجمع، انطلاقا من إيمان المسلمين بنبوة السيد المسيح وبرفعة منزلته رسولا من عند الله سبحانه وتعالى، وبعظيم مكانة أمه الصديقة عليها السلام، وإيمانهم بجميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، فإن أي إساءة لأي نبي أو رسول تعتبر خروجا للمسلم من الإسلام، ولا يقبل صدوره من أي شخص بحال من الأحوال إيمانا بقوله تعالى، ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ

وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾، (البقرة ٢٨٥) وبقوله تعالى، ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (المائدة ٧٥) وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾(الصف ٦).

وأضاف المجمع، إنه لا يصح الاختباء وراء ما يسمى بحرية التعبير أو حرية الرأي، مشيرا إلى أنه لابد عند ممارسة الحرية من احترام الآخرين، وهو مبدأ مستقر في علاقات الأمم والشعوب، وهذه الأعمال ليست إلا اعتداء على الحرمات التي تمثلها الأديان جميعا، كما أنه إساءة لمشاعر المؤمنين بتلك الأديان ، هدفه تحطيم القيم الدينية والخلقية لإفساد المجتمع الإنساني.

وقال المجمع، إن هذا يأتي في إطار الهجمة الشرسة على الأديان ورموزها ومقدساتها كما فعل تماما عند الإساءة الحاقدة لمقام نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

وطالب المجمع، بضرورة تجريم مثل هذه الأفعال من قبل منظمة الأمم المتحدة، وتشريعات الدول المتعددة ، لكل من تسول له نفسه الإساءة للأديان ورموزها، استنادا إلى أن صون حرمة

الأديان ورموزها ، هو خير ضمان لمسيرة البشرية في ظلال الهدي الرباني والقيم الخلقية التي تحمي المجتمع الإنساني من الشرور والضلال والانحراف والأعراق في المادية الطاغية.

ومن جانبه، أدان الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي البروفيسور أكمل الدين إحسان أوغلي، القناة العاشرة للتلفزيون الإسرائيلي، لبثها برنامجا يسيء للنبي عيسى وأمه السيدة مريم "عليهما السلام"، مجددا تأكيده موقف المنظمة الثابت للتصدي لجميع أشكال الازدراء برسل الديانات السماوية والإساءة لهم أو إهانة الرموز الدينية.

وأعرب الأمين العام عن تضامن المنظمة مع المسيحيين بما في ذلك المسيحيون في فلسطين، وندد بمحطة التلفزيون الإسرائيلية لإساءتها للنبي عيسى عليه السلام.

احمدي نجاد يشيد بالعلاقات مع البحرين

أكد رئيس الجمهورية محمود احمدي نجاد في رسالة بعثها العاهل البحريني حمد بن عيسى آل خليفة ، ان طهران لن تسمح لأحد المساس بعلاقاتها الأخوية الطيبة مع مملكة البحرين .و افادت وكالة انباء فارس بأن الرئيس احمدي نجاد اكد ذلك في رسالة بعثها الي ملك البحرين وقام بتسليمها وزير الداخلية الذي كان وصل امس الاثنين الي العاصمة البحرينية . و حسب وكالة أنباء البحرين فإن الرسالة تتضمن تأكيد الرئيس

احمدي نجاد بأنه لا يمكن لأحد التأثير على العلاقات بين البلدين وعدم السماح لأحد المساس بالعلاقات الأخوية الطيبة بينهما .

و اضافت الوكالة أن ملك البحرين أعرب عن تقديره لرسالة الرئيس الايراني ، وشدد على أهمية تبادل الزيارات وتعزيز العلاقات الأخوية والتعاون بين البحرين وايران في المجالات كافة ، مؤكدا حرص البلدين على توثيق العلاقات لما فيه الخير وصالح شعبي البلدين .

من جانبه صرح الشيخ خالد بن احمد بن محمد آل خليفة وزير الخارجية البحريني أن مملكة البحرين تقدر الزيارة التي يقوم بها وزير الداخلية الايراني وترى أن هذه الخطوة الكريمة من جانب الجارة الجمهورية الاسلامية الايرانية ستعزز العلاقات بين البلدين وستنقي أية شوائب تعتري علاقاتهما كما وأنها تؤكد حرص المسؤولين في الجارة ايران على التعاون مع المملكة لاحتواء أية مواضيع تهم البلدين .

العلاقات الإيرانية - البحرينية

أكد وزير خارجية البحرين الشيخ خالد بن أحمد آل خليفة اليوم الاحد لنظيره منوتشهر متكي ، عزم بلاده على ضرورة توثيق العلاقات مع الجمهورية الاسلامية الايرانية وتوثيقها في كافة المجالات .و أفادت وكالة انباء فارس نقلا عن مكتب الصحافة والاعلام التابع لوزارة الخارجية بأن الوزير البحريني

اكد ذلك اليوم خلال اتصال هاتفي مع الوزير متكي ناقشا فيه العلاقات الثنائية وتطورات الوضع في المنطقة .

و أشار وزير خارجية البحرين الى أهمية العلاقات بين الجمهورية الإسلامية الايرانية ومملكة البحرين مؤكدا عزم المنامة على تعزيز العلاقات والتعاون مع ايران الإسلامية في المجالات كافة .

من جانبه ، اعتبر متكي العلاقات بين البلدين الجارين ايران والبحرين في المسار الصحيح وتسير نحو النمو والتطور اكثر فأكثر .

واضاف متكي : "اننا ، وفي هذه الظروف التي يحتاج فيها العالم الاسلامي الى التضامن والتلاحم لمواجهة جرائم ومؤامرات الكيان الصهيوني أكثر من أي وقت مضي ، ننتظر من قادة البحرين الواعين أن لا يسمحوا للبعض ان يتشبثوا بقضايا جانبية واستغلالها لمصلحة أعداء المنطقة والعالم الاسلامي" .

وأوضح متكي ان العلاقات بين الجمهورية الاسلامية الايرانية وسائر دول المنطقة ومنها البحرين ، قائمة على الاحترام المتبادل ومبدأ حسن الجوار وضمان المصالح المشتركة مؤكدا العزم المشترك لايران وسائر دول المنطقة على تنمية التعاون ودرء الفتن التي يثيرها العملاء الأجانب .